تجارة العطور وصناعتها عند العرب المسلمين خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين

سـيـف شـاهين خـلـف المريـخـي

أستاذ مشارك ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة قطر

الملخص

شهدت التجارة في العالم الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين نشاطاً ملحوظاً أسهم في زيادة الإنتاج الزراعي والصناعي ، وفي تدفق الأموال وزيادة الدخل العام للدولة العباسية . كما توطدت العلاقات التجارية بين الدولة العباسية وبين الهند والصين وبلدان الساحل الشرقي لأفريقيا . وأتيحت للتجار العرب المسلمين فرص كبيرة للوصول إلى أسواق جديدة ، واستيراد المواد الخام ، والاستفادة منها في تطوير كثير من الصناعات المعدنية والنسيجية والزراعية .

تتناول هذه الدراسة تطور تجارة العطور وازدهار صناعتها عند العرب المسلمين خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين ، فتتطرق إلى العطور واستخداماتها عند العرب منذ ما قبل الإسلام وحتى العصر العباسي . كما تسلط الضوء على أنواع العطور ، وأهم مراكز إنتاجها ، وطريقة صناعتها ، وتفاوت أسعارها . وتتعرض الدراسة كذلك إلى فوائد استخدام العطور وأهم التقنيات المستخدمة في تركيبها ومزجها .

هدف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الدور والتأثير الحضاري الذي أسهم به العرب المسلمون في تطوير صناعة وتجارة العطور في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين ، وذلك من خلال الإبراز والتوضيح لنشاط العطارين والتجار ، ووقوفهم على جذور هذه المهنة وأصولها .

أهمية الدراسة

تكتسب الدراسة أهميتها من كونها تميط اللثام عن إضافات كثيرة ، سواء في الأدوات والآلات الزجاجية والمعدنية المستعملة ، أو في طريقة العمل ، أو التفاعلات الكيميائية في المواد النباتية والحيوانية التي أدخلها العرب المسلمون لتحسين صناعة وتجارة العطور بوجه خاص ، وتطوير علم الكيمياء والصيدلة بوجه عام .

حدود الدراسة

تتناول الدراسة تطور استيراد العطور وإنتاجها ، وأهم مراكز صناعتها في الدولة العباسية ضمن مدى زمني يمتد من بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وحتى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي . وقد تميزت هذه الفترة بنقلة حضارية أسهمت في ظهور نهضة علمية وصناعية واقتصادية واجتماعية شملت جميع مناحي الحياة في الدولة العباسية .

منهج الدراسة

اتبع الباحث في هذه الدراسة منهج تتبع النصوص المتوافرة في المصادر والمراجع الإسلامية عن صناعة الروائح العطرية وتجارتها ، وتحليل النصوص ، واستنباط التقنيات المستخدمة في تركيب العطور ومزجها ، ومقارنة المعلومات المتوافرة في العصر العباسي ، ومقابلتها بما كانت عليه في العصر الأموي وعصر الخلفاء الراشدين وعصر ما قبل الإسلام ؛ لمعرفة الوقائع ، والكشف عن دور هذه الصناعة في تطوير المجتمع الإسلامي في العصر العباسي .

مصادر الدراسة

تطلبت الدراسة استخدام مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع التاريخية والجغرافية والأدبية واللغوية والطبية . وفيما يلي عرض لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة :

أولاً ـ المصادر

من المصادر الطبية المهمة التي رجعت إليها المقالة التاسعة عشرة من كتاب «**التصريف لمن عجز عن التأليف**» لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي (ت بعد 1013/404) حققها : محمد العربي الخطابي ونشرها في كتاب «**الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي**» ، واعتمد في تحقيقها على عدة نسخ محفوظة في الخزانة الحسنية ، وعلى النسخة المصورة التي أصدرها معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية . في هذه المقالة تحدث الزهراوي عن أدوية الزينة التي تُسَوِّدُ الشعر ، وتنبت شعر الحاجبين ، وتجلو الوجه ، وتزيل النمش من البشرة . كما عدد الزهراوي عناصر الطيب ، وتكلم عن تجنيس الأفاوية المستعملة ، وأشار إلى منافع كل منها . والمتمعن في المقالة التاسعة عشرة من كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» يلاحظ استخدام الزهراوي للطريقة العلمية المبنية على المشاهدة الدقيقة والتجربة الشخصية في صناعة الطيب ومعرفة منافعها الطبية . كما أنه يتميز بدقة في الوصف العلمي للمقادير ، ووضوح في شرح طريقة تحضير العطور واستخلاصها .

ومن المصادر التي أفادت هذا البحث كتاب «**ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**» لمحمود بن عمر الزمخشري (ت . حوالي1013/404) ، حيث أفرد الزمخشري في الجزء الثاني من كتابه باباً سماه باب الروائح ، تحدث فيه عن الطيب وما جاء في الأثر من استعماله والتطيب به . ولقد تناول الزمخشري في هذا الباب أنواعاً من العطور ، مثل المسك والعنبر والكافور والعود والند ، وتحدث عن خصائصها وذكر تركيبها ومنافعها . وامتاز الزمخشري بالوضوح في

الوصف ، والدقة في التعبير ، والبعد عن التكرار ، وكثرة الاستشهاد بالأحاديث النبوية والأبيات الشعرية .

ومن المصادر المهمة التي استخدمتها واستفدت منها في هذه الدراسة كتاب «**الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب**» تأليف : كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم (ت . 660هـ/ 1261م) . وهو كتاب يجمع بين الطب والصيدلة والغذاء ، ويذكر مجموعة من العطور ومواد الطيب ، ويتحدث عن طريقة صنعها وفائدتها . كما يتناول الكتاب كذلك صناعة البخور وتطييب رائحة الفم . ويتميز الكتاب بغزارة المادة ، وتنوع المركبات والأخلاط العطرية ، وتعدد الآلات المستخدمة في صناعة العطور .

ويعد كتاب «**نهاية الأرب في فنون الأدب**» لشهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري (ت . 733هـ/ 1332م) من أهم المصادر التي تناولت العطور ، وتحدثت عن أصناف الطيب والبخورات والغوالي والندود والمستقطرات والأدهان والنضوحات . كما أشار الكتاب إلى طريقة عمل الغوالي والندود والرامك والسك ، وذكر الآلات التي تستخدم في عملها . وتكمن أهمية كتاب «نهاية الأرب» في أنه حفظ لنا الكثير من النصوص المفقودة المتعلقة بالعطور وصناعتها والتي نقلها من كتاب «**جيب العروس وريحان النفوس**» لمحمد بن أحمد التميمي ، وكتاب «**العطر**» الذي ألفه الطبيب بختيشوع للخليفة المعتصم .

ومن المصادر التي اعتمدت عليها في هذا البحث كتاب «**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**» لأبي العباس أحمد بن علي (ت . 1418/821) ولقد تحدث القلقشندي عن نفيس الطيب ، وذكر أربعة من أصنافه هي المسك والعنبر والعود والصندل . وقد أجاد في تصنيف العطور حيث رتب كل نوع حسب جودته ، فهو مثلاً قد ضم في مجموعة واحدة من العود ثمانية عشر نوعاً ، مرتبة ومتسلسلة حسب جودتها ، مما يدل على أنه كانت له خبرة في أنواع العطور . ويلاحظ أن القلقشندي اعتمد بشكل أساسي في معلوماته عن العطور على كتاب محمد بن أحمد التميمي المفقود والمعروف باسم كتاب «جيب العروس

وريحان النفوس» .

ومن المصادر الجغرافية التي أفادت هذا البحث كتاب «**صورة الأرض**» لابن حوقل النصيبي (ت . نحو 977/367) يحتوي الكتاب على معلومات مهمة وقيمة عن صناعة المياه العطرية ومراكز إنتاجها في العالم الإسلامي . ويوجد في كتاب «**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**» لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري المقدسي (ت . 990/380) معلومات مهمة عن ازدهار صناعة الأدهان العطرية في العراق وفارس .

ومن المعاجم اللغوية القيمة التي اعتمدت عليها كتاب «**المخصص**» لابن سيده (ت . 458هـ/ 1065م) و«**معجم لسان العرب**» لابن منظور (ت . 711هـ/ 1311م) ، فهما يحتويان على مصطلحات دقيقة ومعلومات قيمة عن الطيب ونعوته ، وعن أسماء العطور وأنواعها وفوائدها .

ثانياً ـ المراجع

يأتي كتاب «**الملابس والزينة في الإسلام**» للخطيب العدناني في مقدمة المراجع التي أفادت هذه الدراسة . يتألف الكتاب من سبعة أجزاء ، خُصص الجزء السابع والأخير من الكتاب للطيب والعطور . ولقد تناول الجزء السابع أقسام الطيب وأنواعه ، وطيب المسك وأنواعه ، وخواص العطورات ، وما يتطلب به مزيجاً بغيره . كما تحدث عن الطيب بالتجمر ، والطيب بالأدهان ، وطيب الشم والاستنشاق . وعلى الرغم من أصالة الكتاب وتفرد الباحث في هذا الموضوع المتعلق بالطيب والعطور يؤخذ عليه قلة مصادره ، واعتماده بشكل أساسي على كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري ، كما أنه يخلو من الهوامش .

ومن المراجع المهمة التي تمت الاستعانة بها في هذه الدراسة كتاب «**الزينة في الشعر الجاهلي**» ، للدكتور يحيى الجبوري . يتناول الكتاب في الفصل الثالث زينة الطيب والعطور ، ويتحدث عن اللطائم ، وعن الطيب في الإسلام . ويتعرض كذلك لأنواع العطور وطريقة صناعتها واستخدامها . كما أنه يقدم

وصفاً لعطور ظهرت واشتهرت في العصر العباسي . وعلى الرغم من أن دراسة الدكتور يحيى الجبوري أدبية تقوم أساساً على نصوص الشعر الجاهلي ، فقد أمدتنا بمعلومات قيمة عن صناعة العطور في الإسلام وفي العصر العباسي . كما تميزت الدراسة بغزارة الإسناد وتنوعه .

ولقد اقتضت الدراسة الرجوع إلى عدد من المصادر الأجنبية التي تناولت موضوع تجارة العطور وصناعتها . أستعرض هنا مرجعاً إنجليزياً استفدت منه في هذه الدراسة وهو كتاب "Perfume through the Ages" للمؤرخ الإنجليزي "Roy Genders" . طبع هذا الكتاب في نيويورك في عام 1972 ، وهو غير مترجم إلى العربية . يتضمن الكتاب معلومات وتفصيلات عن تطور صناعة العطور عبر العصور ، فقد تعرض لصناعة العطور وتجارتها في عصر الفراعنة والآشوريين واليونان والرومان ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الشرق وتحدث عن صناعة العطور عند المسلمين ، وأشار إلى نجاح محاولاتهم الأولى في تقطير العطور . كما تناول تطور صناعة العطور في أوروبا في العصور الوسطى ، وبخاصة في فرنسا وإنجلترا ، ثم تحدث عن انتقالها بعد ذلك إلى أمريكا . أما القسم الأخير من الكتاب فقد تناول طرق مزج العطور ووسائل استخلاص الروائح الذكية . ويؤخذ على الكتاب أنه موجز . كما يؤخذ عليه طول الفترة الزمنية التي يتناولها ، وخلوه من الإسناد .

العطر وأهم استخداماته عند العرب

عرف عرب الجزيرة مهنة تركيب العطور[1] وتجارتها منذ ما قبل الإسلام ، وقد حظيت باهتمام تجار قريش ، فكانت العطور من السلع التجارية التي تحملها قوافل قريش إلى خارج الجزيرة العربية -كما امتهن عدد كبير منهم العطارة . وخير دليل على ذلك القائمة التي أوردها هشام بن الكلبي في باب التجارات في كتاب «**مثالب العرب**» بأسماء القرشيين الرجال الذين مارسوا مهنة العطارة . وقد ضمت هذه القائمة أبا طالب بن عبدالمطلب الذي كان عطاراً يبيع البز في أول النهار ويبيع آخر النهار العطر ، وأبا عبيدة بن الجراح ، وشبيبة بن ربيعة ، وأبا

البختري بن هشام ، ومخرمة بن نوفل ، وعبيد الله بن عثمان أبا طلحة ، وهشام ابن المغيرة والحجاج أبا منبه بن الحجاج ، ونصر بن الحارث ، وأمية بن خلف ، وعبدالله بن جدعان وسُمرة بن جُنْدُب [2] . ومن نساء العرب اللواتي مارسن مهنة العطارة وبرعن فيها مليكة والدة السائب بن الأقرع ، وكذلك أسماء بنت مخرمة بن جندل أم أبي جهل ، التي كانت تستورد العطر الجيد من اليمن وتبيعه ، لنساء قريش في قوارير [3] . وممن مارسن العطارة من النساء حولاء بنت ثويب ، كانت تبيع العطر في المدينة [4] . وكانت العطور المتداولة والمشهورة عند العرب هي : المسك والعنبر والعود والصندل . واشتهر عند العرب المسك الذي يجلب من مدينة دارين في بلاد البحرين ، وهو مسك هندي تجلبه التجار إلى ميناء هذه المدينة ، ويحمل منها إلى أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية[5] . كما اشتهر المسك الذي يجلب إلى بلاد العرب من الصين وبلاد التبت والهند . ويعد المسك الذي يجلب من بلاد التبت أفضل هذه الأنواع وأجودها ، وذلك لأن مراعي الظبي في بلاد التبت أطيب من غيرها في البلدان الأخرى [6] . أما العنبر فكان يخرج من سواحل بلاد الشّحر التي تقع بين اليمن وعمان ، والتي ينسب إليها العنبر الشحري وهو أجود أنواع العنبر . وكان عرب الجزيرة يستوردون العنبر كذلك من مقديشو من بلاد الصومال عبر ميناء عدن ، ويأتي هذا النوع من ناحية الجودة في المرتبة الثانية بعد العنبر الشحري [7] . وأما العود فإنه يجلب إلى بلاد العرب من الهند والصين وغيرها من بلدان الشرق الأقصى ، وكذلك الصندل ، فقد كان يستورد من الهند عبر اليمن ، وهو يعد عند عرب الجزيرة من طيب النساء ، ويدخل في تركيب كثير من ضروب الطيب وأصنافه ومزجها ، ويستخدم كذلك في تركيب الأدوية .

ويتضح مما سبق أن مهنة العطارة كانت عند عرب الجزيرة من المهن الرفيعة التي لا يمارسها إلا علية القوم . وقد ورد في كتاب «**الأزمنة والأمكنة**» للأصفهاني أن العرب أبدعوا في تركيب العطور ، فكانوا أحسن من مزج الطيب . وكانوا يحفظونه في قوارير من زجاج ويصدرونه عبر البحر إلى السند والهند ، وعن طريق البر إلى فارس وبلاد الروم[8] . وبالإضافة إلى المسك والعنبر

والعود والصندل اشتهر عرب الجزيرة باستخدام أنواع أخرى من الطيب استعملوها في تطييب ثيابهم وتبخير معابدهم ، مثل المر والصبر والكافور واللبان . ونجحوا في توليف خلطات عطرية وتركيبها سميت بالطيب المعمول[9] ؛ كان يتفاخر بها التجار العرب ويأخذونها معهم في رحلاتهم التجارية ، ويعرضونها في أسواق السند والهند وأسواق فارس وبلاد الشام .

والطيب عند العرب أنواع ؛ منه ما يستخدم على شكل أعواد توضع في النار ، ومنه ما يستخدم على شكل أدهان ، ومنه ما يستخدم كذلك على شكل صموغ يتبخر بها . ويضمخ الرجال مقاديم لحاهم وأجسادهم بعطور وأطياب خاصة بهم ، مثل المسك والعنبر والكافور ، على حين تصنع وتخلط للنساء عطور خاصة بهم مثل الخلوق والزعفران . ومن أهم المدن التي اشتهرت بتصدير الطيب قبل الإسلام مدينة الحيرة في العراق وقد عرفت بلطائمها[10] التي تحمل الطيب إلى أسواق الجزيرة العربية . وتسمى العير التي تحمل الطيب باللطيمة[11] . وتطلق العرب اللطيمة كذلك على سوق العطارين . ومن أسواق العرب الموسمية الشهيرة قبل الإسلام ببيع الطيب وتصديره إلى خارج الجزيرة العربية سوق عكاظ [12] ، وسوق عدن [13] ، وسوق الشحر في بلاد المُهرة[14] ، وسوق عمان[15] . وكما كان للحضر في المدن عطور يستخدمونها ، كان للأعراب من أهل البادية كذلك عطور يصنعونها ويتطيبون بها . ومن أهم العطور التي تستخدم في البادية القرنفل والزنجبيل والزَّرْنب والملاب والسَّخاب والقُسْطُ اللُّبْني وهي المَيْعَة والرّامك والشاهرية[16] .

ولما ظهر الإسلام في الجزيرة العربية أمر الله عز وجل عباده المسلمين بالنظافة والتزين واستعمال العطر والطيب عند الخروج إلى المساجد ، فقال تعالى في سورة الأعراف : «يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد»[17] . وقد ورد في صحيح البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أطيب النبي صلى الله عليه وسلم بأطيب ما يجد ، حتى أجد وبيض الطيب في رأسه ولحيته[18] . ويروى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه كانت له سكة [19]يتطيب

منها[20] . وجاء في الطبقات أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يتطيب بالمسك والعنبر[21] .

واتباعاً لسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم قام الصحابة ومن تبعهم من المسلمين باستعمال الطيب ، وحرصوا على استيراد أجود الأنواع من مصادرها ومراكز إنتاجها في الجزيرة العربية وخارجها . وكانوا يحفظون هذه العطور في قوارير زجاجية ومعدنية . وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : لو كنت تاجراً ما اخترت على العطر ، إن فاتني ربحه لم يفتني ريحه[22] . وجاء في ربيع الأبرار أنه كان لابن عمر رضي الله عنه بندقة من مسك كان يبلها ثم يديرها بين راحتيه فتفوح منها روائحها[23] ، وكان إذا استجمر يجعل الكافور على العود ثم يستجمر به ، ويقول هكذا كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يستجمر[24] . وكان ابن عباس رضي الله عنه يطلي جسده ، فإذا مر في الطريق قال الناس : أمر ابن عباس أم مر المسك[25] . وكانت العطور تستخدم في علاج كثير من الأمراض ، وقد أوصى الرسول عليه الصلاة والسلام المسلمين باستعمال العود الهندي للعلاج من الأمراض التي كانت متفشية في تلك الفترة . وورد في الحديث عن أم قيس بنت محصن قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : عليكم بهذا العود الهندي ، فإن فيه سبعة أشفية يُسْتَعطُّ به من العُذْرة ، ويُلَد به من ذات الجنب[26] . وكانت العرب تستخرج من العطور الأشربة والمعاجن والأدهان والمراهم واللطوخات الطبية التي منها ما يساعد على تقوية الدماغ وتنشيط القلب ودر البول ، ومنها ما يفيد في حالات الصداع الشديد وتقوية المعدة والأعضاء وإزالة الأرق ، ومنها ما يستعمل في حالات الزكام والخفقان ونزلات البرد وشقاق اليدين والرجلين[27] وفي غيرها من العلل التي تصيب جسم الإنسان في داخله وخارجه[28] .

وكانت العطور من الهدايا النفيسة التي يتبادلها المسلمون في المناسبات السعيدة مع الأهل والأصحاب ، ويهدونها إلى الملوك والخلفاء . ويروي الترمذي عن ثمامة بن عبدالله عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرد

الطيب[29] . وجاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من عُرض عليه طيبٌ فلا يرده ، فإنه طيب الريح خفيف المحمل[30] . وذكر الزمخشري في ربيع الأبرار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد وجه إلى ملك الروم بريدا ، فاشترت امرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب طيباً بدينار ، وجعلته في قارورتين ، وأهدته إلى امرأة ملك الروم فرجع البريد بملء القارورتين من الجواهر[31] .

ولما تأسست الدولة الأموية توسعت حدود الدولة الإسلامية وامتدت لتصل إلى المحيط الأطلسي غرباً وإلى تخوم الصين شرقاً ، فازدهرت فيها الحياة الاقتصادية بسبب استتاب الأمن والاستقرار الذي كانت توفره للتجار وللتجارة ، كما زادت الموارد المالية نتيجة لأموال الخراج الذي كانت تتدفق إلى خزائن الدولة من الأمصار والولايات[32] في الشرق والغرب ، وقد أدى ذلك إلى الثراء الواسع للخلفاء والأمراء والتجار ، ورغبة الكثير من أفراد المجتمع في الحصول على كل ما هو ثمين ونادر ، إضافة إلى شيوع الترف والتأنق في الحياة ، والرغبة في تقليد الشعوب المجاورة في مظاهر العيش[33] .

ولقد أضحت دمشق عاصمة الدولة الأموية مركزاً تجارياً استهلاكياً جامعاً لمختلف أنواع البضائع والسلع . وكانت الولايات والأمصار تقوم بتزويد العاصمة بمختلف المحاصيل الزراعية والمواد الغذائية والمنتجات الصناعية وغيرها من الكماليات التي يحتاجها المجتمع الجديد المتطور المتنامي ، والمتعطش لكل ما هو غريب وغير مألوف .

وكانت أصناف الطيب والبخورات والأدهان من أهم البضائع والسلع الاستهلاكية التي أقبل عليها الخلفاء الأمويون وتنافسوا فيما بينهم على استيراد الجيد منها والثمين ، واستعانوا بأصحاب الخبرة في مزج العطور وتركيبها ولا سيما الغوالي التي ابتدعها في العصر اليوناني الطبيب المشهور جالينوس للملكة لفيلموس . وبسبب الجودة والإتقان في تركيبها انتشرت الغوالي في العالم ، ووصلت إلى العرب في العصر الجاهلي فاستلطفوها واستخدموها

لتطييب الأجساد والمنازل والملابس .

والغوالي جمع غالية ، وهي ضرب من الطيب المركب ، يقال إن أول من سماها بذلك هو الخليفة معاوية بن أبي سفيان (41–60هـ/ 661– 679م) بعد أن دخل عليه عبدالله بن جعفر بن أبي طالب (ت . 80هـ ، 699م) ورائحة الطيب تفوح منه ، فقال : ما طيبك يا عبدالله؟ فقال : مسك وعنبر جمع بينهما دهن بان ، فقال معاوية : غالية ، أي ذات ثمن غال[34] . والغالب على الظن أن الغوالي كانت معروفة منذ العصر الجاهلي ، ومتداولة بين العرب في الجزيرة العربية ، وقد ورد ذكرها وتكرر اسمها في الشعر الجاهلي لكنها كانت مختلفة التركيب .

ولما تطورت صناعة الطيب ومزجه في العصر الأموي أطلق العرب المسلمون اسم الغالية على كل تركيبة وخلطة مؤلفة من عدة أصناف ويستحسنها الناس ، فشاع بين الناس تركيب الغوالي واستعمالها والتباهي بإتقان مزجها ، مستخدمين أجود أنواع الطيب . وكان يعمل لكل خليفة غالية خاصة به يختار لها أطيب الأصناف من المسك والعنبر والعود والبان ، ويقوم متخصصون بابتكار مقادير أجزائها وصفة خلطتها ، ويحرصون على أن لا يعرفها غيرهم حتى لا تشيع وتقلد . ولكي تحافظ على جودتها كانت الغوالي تخزن في أوان من الذهب الخالص والزجاج الأبيض المستورد[35] . ومن أشهر غوالي الخلفاء والأمراء في العصر الأموي غالية هشام بن عبدالملك [36](105– 125هـ/ 723– 742م) ، وغالية الحجاج بن يوسف الثقفي[37] (ت . 95هـ/ 713م) .

وفي سنة 132هـ/ 749م أسس العباسيون بعد سقوط الحكم الأموي في الشام دولة عظيمة سيطرت على أراض واسعة امتدت من الأطلسي غرباً إلى تخوم الصين شرقاً ، ومن البحر الأسود وبحر قزوين شمالاً إلى بلاد السودان جنوباً .

ولما استقامت الأمور السياسية في الدولة العباسية تأسست مدينة بغداد سنة 145هـ/ 762م وأصبحت عاصمة الدولة العباسية[38] ، كما انصبت

اهتمامات الخلفاء في توطيد العلاقات التجارية مع بلدان الشرق الأقصى ، وزيادة حركة التبادل مع الهند والصين وأرخبيل الملايو ، فانتعشت التجارة ، وأصبحت من أهم مصادر القوة والرخاء في الدولة . كما أسهمت السياسات الزراعية للدولة في تطوير وسائل الري وانتشار المزارع والبساتين وأقلمة كثير من الزراعات الغذائية والصناعية المجلوبة إلى العالم الإسلامي من الهند والصين ؛ منها على سبيل المثال الحمضيات والمانجة والرز والقطن والسكر . ولعل من أبرز النتائج التي ترتبت على هذه السياسات الاقتصادية ازدهار بعض الحرف والصناعات التي قامت معتمدة على الإنتاج المحلي والخارجي من المواد الخام من المحاصيل الزراعية والمعادن . كما أسهمت كذلك في زيادة موارد الدولة وتنمية موارد العيش في المجتمع ، وشيوع نمط من رغد العيش بين الخلفاء والأمراء والتجار وأصحاب المهن ، وهو ما ساعد على تزايد اهتمام المترفين من الناس وولعهم بالكماليات من المنسوجات الحريرية والقطنية ، والجواهر والأحجار الكريمة ، والأسلحة المطعمة بالجواهر والخواتم ، وأدوات الزينة وغيرها من السلع الاستهلاكية المحلية منها والأجنبية التي كانت تجلب من أنحاء مختلفة من العالم . ومن صور إنفاق الخلفاء على الكماليات ما كان يصرفه الخليفة العباسي المتوكل (232– 247هـ/ 846– 861م) على السلع الاستهلاكية والكماليات ؛ حيث بلغت نفقات الطيب كل سنة مئة ألف دينار ، وبلغت نفقات الكسوة ثلاث مئة ألف دينار سنوياً ، وأنفق على الجواهر ثلاث مئة ألف دينار ، وبلغ مجموع ما أنفق على الرقيق مئة ألف دينار . ووصل مجموع نفقات الخليفة المتوكل الخاصة التي ينفقها على الكماليات إلى نحو مليون دينار في كل سنة[39] وهذا المبلغ إذا ما قارناه بسعر الوقت الراهن يتبين لنا أن المبلغ كان كبيراً جداً ، وأن الإنفاق على السلع الاستهلاكية من الخلفاء في العصر العباسي كان كبيراً ، ويصل في أحيان كثيرة إلى درجة الإسراف والبذخ والمباهاة والانهماك في الملذات . ومعروف أن الرعية على دين ملوكهم ، يقلدونهم ويسيرون على نهجهم ؛ لهذا قام الناس بتقليد الخلفاء في الإسراف والإفراط في الإنفاق على الكماليات واستهلاكها .

ضمن هذا المناخ وهذه البيئة الاقتصادية الاستهلاكية والمزدهرة في الدولة العباسية ازدهرت في العراق وفارس وبلاد الشام والعالم الإسلامي تجارة الروائح العطرية وصناعتها . وحيث إن بعض مكوناتها ومواد مزجها تستورد من الخارج فقد اعتمدت هذه التجارة اعتماداً رئيساً على ما كان يجلب من مواد خام من الهند والصين وجنوب شرق آسيا ، وأضيف إليها ما كان متوافراً من مواد خام كثيرة في أقطار العالم الإسلامي .

أصناف العطور

تنقسم العطور في العصور الوسطى إلى ثلاثة أنواع : النوع الأول : عطور نباتية يكون مصدرها النبات ، مثل العود ، والصندل ، والكافور ، والزعفران ، والقرنفل ، والسنبل ، والياسمين . والنوع الثاني عطور حيوانية وهي عبارة عن إفرازات غددية تتألف من دهون وزيوت يتم الحصول عليها من أجسام الحيوانات ، منها على سبيل المثال العنبر والمسك . أما النوع الثالث من العطور فهي مزيج من العطور النباتية والحيوانية مركبة تركيباً كيميائياً باستخدام التقطير والتخمير ، ومضافاً إليها بعض المثبتات . وتأتي الغوالي والندود[40] والبرمكيات[41] ، والمياه العطرية كماء الورد والأدهان كدهن البنفسج ودهن الخيري في مقدمة هذا النوع .

ولقد استخدم العرب المسلمون في العصر العباسي العطور النباتية والحيوانية ، وبرعوا في مزجها وتركيبها ، واستخلصوا منها أصنافاً من الدهون والبخور والصموغ والمياه العطرية التي لها روائح ذكية ، والتي لم تكن معروفة من قبل . وأُنشئت للعطور بمختلف أنواعها في مدن العالم الإسلامي أسواق خاصة بها سميت بأسواق العطارين كان أشهرها سوق العطارين في بغداد[42] . وقد بلغ عدد ما كانت تستورده مدينة بغداد وحدها عن طريق البحر عبر مدينة البصرة ما يقارب من 1473نوعاً من أنواع الصيدلة والعطور[43] . وتظهر أهمية صناعة العطور وتجارتها في تلك الفترة من عدد المصنفات التي ألفت في تلك الفترة ، والتي تتحدث عن أنواع العطور والأطياب المتداولة عند العرب المسلمين ، وكيفية مزجها وتركيبها ، وأهم المواد المستخدمة في تحضيرها ، والأجهزة والأدوات المختبرية المستعملة . وقد ذكر ابن النديم صاحب الفهرست

تسعة كتب في العطر [44]معظمها مفقود أو غير مطبوع . كما أفردت للعطر وصناعته أبواب وفصول خاصة في مصنفات اللغويين والأدباء والأطباء ، من أمثال ابن أبي حنيفة الدينوري في كتاب النبات . وابن سيده في كتاب المخصص ، والزمخشري في كتاب ربيع الأبرار ، والزهراوي في كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف ، والنويري في كتاب نهاية الأرب ، والقلقشندي في كتاب صبح الأعشى . ولا نستبعد اشتغال عدد من هؤلاء العلماء بصناعة العطور وتجارتها ؛ لأننا نلمس في أوصافهم لطريقة تحضير العطور ومزجها واستخلاصها وطريقة بيعها براعة ودقة لا يملكها إلا صاحب صنعة متمرس .

العطور المستوردة

المسك[45]

يأتي المسك [46] في مقدمة الروائح العطرية المستوردة من خارج العالم الإسلامي . ولقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين باستخدام المسك ، فجاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أطيب طيبكم المسك»[47] .

ويخرج المسك من مادة من الدم تنمو في سرة الظبي[48] ، وعندما يأتي موعد خروج المادة تضجر الظبي فتحك سرتها على أحجار الجبال وتجد في ذلك لذة حتى تسيل منها المادة المكونة للمسك ، ثم يأتي أناس مدربون ومتخصصون فيقومون بجمعه والتقاطه من الجبال [49] ، ويضعونه في قوارير ويحمل إلى جميع الآفاق . ويذكر المسعودي أن هناك رجالاً في الصين وبلاد التبت لهم خبرة ومعرفة في صيد ظبي المسك باستخدام الحبائل والأشراك والشباك أو عن طريق رميها بالسهام ، وعندما تموت يقطعون نوافجها والدم في سررها حار لم ينضج ، وطري لم يدرك ، فيكون لريحته سهوكة ، فيبقى زماناً حتى تزول منه تلك الرائحة الكريهة ، ويستحيل بمواد من الهواء فيصير مسكاً[50] . ولقد أشارت المصادر الإسلامية إلى ثلاث مناطق آسيوية رئيسة كانت تنتج المسك وتصدره إلى العالم ، وهي الصين والتبت [51]والهند[52] . ويعد المسك التبتي أفضل أنواع

المسك ؛ ذلك أن ظبي المسك في التبت ترعى سنبل الطيب وأنواع الأفاويه ، على حين يتغذى غزال المسك في الصين وغيرها من المناطق المصدرة للمسك على الحشائش العادية[53] . ولقد تنافس الأطباء والصيادلة العرب المسلمون في معرفة فوائد المسك الطبية وأجود أنواعه ، وقام التجار باستيراده من مراكز إنتاجه من التبت والصين والهند وغيرها من البلدان ، واستخدمه العطارون في كثير من الوصفات الطبية والغذائية والعطرية . وكان المسك يعد من أفضل أدوية الدماغ والقلب ، ويستخدم في حالات الخفقان والفزع ، وشمه ممزوجاً بماء الورد يزيل الغشي الناتج عن ضعف القلب[54] ، وهو كذلك يقوي الحواس ، ويستخدم لعلاج ضعف البصر وأوجاع الأذن ، ويقوي الغريزة ، وينعش ، ويعين على الحمل ، ويمنع النزلات[55] .

ولقد سيطر التجار المسلمون خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين على جزء كبير من تجارة المسك ، فكانوا يستوردونه من التبت والصين والهند عن طريق البحر إلى البصرة وبغداد ، ثم يعيدون تصديره إما خاما أو مركباً إلى مناطق أخرى من العالم . كما كانوا ينقلونه براً من التبت إلى خراسان ، ومنها إلى جميع الآفاق[56] . وقد وصل نشاط تجار العطور المسلمين إلى القسطنطينية عاصمة بلاد الروم فكانوا يزودونها بالمسك وغيره من العطور التي كان عليها إقبال كبير في أسواق المدينة[57] . يصف اليعقوبي نشاط تجار العطور المسلمين في استيراد المسك من الصين عبر البحر فيقول : «وأفضل المسك الصيني ما يؤتى به من خانغو ، وهي المدينة العظمى التي هي مرفأة الصين ، التي يرسو بها مراكب تجار المسلمين ، ثم يحمل في البحر إلى الزقاق[58] ، فإذا قرب من بلد الأبلة ارتفعت رائحته ، فلا يمكن التجار أن يستروه من العشارين ، فإذا خرج من المركب جادت رائحته ، وذهبت عنه رائحة البحر»[59] . وهذا المسك المستورد عن طريق البحر تتغير رائحته لطول المسافة[60] التي تستغرقها السفن من الصين إلى بغداد ، حيث تمتد إلى حوالي ستة أشهر وأحياناً أكثر من ذلك . ونتيجة لزيادة الطلب عليه من التجار المسلمين كان أهل الصين يدلسون المسك ويغشونه ، ويستخدمون في ذلك أساليب وطرائق تصل

إلى حوالي ست وعشرين[61] طريقة ، منها أنهم كانوا يفتحون النوافج وهي وعاء المسك في جسم الظبي ويضيفون عليه دماً ومواد أخرى[62] . ولقد ذكر الدمشقي في كتاب «**الإشارة إلى محاسن التجارة**» : «إن المسك أكثر الأشياء غشاً وتدليساً»[63] . فكان يغش بالراوند ونشارة العود والقرفة والقرنفل والمصطكى والسنبل والمر ، تسحق مع عصارة طحال الماعز المجففة ودم الحمام ودهن البيض ، ويضاف إلى الجميع ماء الورد المسك وربما يضاف عليه ماء التفاح[64] . لذلك كان التجار العرب المسلمون حريصين على معرفة أساليب التدليس والغش المستخدمة في تلك الفترة ومواجهتها ، فتعلموا كيف يكشفون ويفحصون المسك الخالص بأن يفتحوا النوافج ويلثموها ، فإن كان طعمها حاداً كالنار فهي خالصة لا غش فيها ، وإن كانت عكس ذلك فهي مغشوشة ، ومن طرقهم لفحص المسك أن يضعوا شيئاً من المسك المراد شراؤه في حلوقهم ثم يتفلونه على قطعة قماش أبيض ثم ينفضونه ، فإن انتفض ولم يصبغ فلا غش فيه[65] .

ولقد شاع استخدام المسك وتداوله في العصر العباسي بين عامة الناس ، وبالغ الخلفاء والأمراء في استعماله في الأغراض الطبية والعطرية ، وكان عنصراً رئيساً في الموائد فيضاف على الأشربة والأطعمة . وقد بلغ مجموع نفقات المطبخ لثمن المسك في شهر واحد في زمن الخليفة العباسي المقتدر بالله (بويع بالخلافة سنة 295هـ/ 908م) نحو ثلثمائة دينار[66] . ويروي بزرك بن شهريار أن التاجر العماني أحمد بن مروان اشترى دفعة واحدة من تاجر يهودي اسمه إسحاق ، كان قد قدم من الصين إلى عمان ، مائة ألف مثقال من المسك الفائق[67] .

كما كان المسك في كثير من الأحيان يتصدر قائمة الهدايا المتبادلة بين الملوك والخلفاء والأمراء . فقد أهدى الخليفة المأمون (198– 218هـ/ 813– 832م) إلى ملك الروم[68]مائتي رطل من المسك[69] ، وكان من جملة الهدايا التي أرسلها يعقوب بن الليث الصفار (ت . 265هـ/ 878م) إلى المعتمد على الله (256– 279هـ/ 870– 892م) مئة مناً من المسك[70] .

العود

يعد العود من أهم العطور التي كانت تستورد إلى العالم الإسلامي من الهند وأرخبيل الملايو (ماليزيا) وجاوة وسومطرة (أندونيسيا) . وكان العود من المواد الخام الأولية الذي تعتمد عليه صناعة العطور ويدخل في تركيب كثير من أنواع العطور المشهورة في العصر العباسي . والعود شجر كبير ينبت في الهند وسيلان وبلدان جنوب شرق آسيا ، ويكون في قلب الشجرة ، ولا تصير له رائحة إلا بعد أن يعتق وينجر ويقشر ، فإذا نفى عنه قشره وجف حمل إلى كل ناحية[71] . ومن صفات العود الهندي الرزانة واللون المائل على السواد ، ورائحته على النار فيها شبه من رائحة اللينوفر ، وآخر رائحته كأولها[72] . ومن أسماء العود القُطْرُ والمَنْدَليُّ والشّذا والأُلُوَّة والأَلَنجوجُ واليَلَنْجُوجُ والكباءُ والمجمَرُ والبَخورُ والغار والهَضْمَة والوَقص[73] . ويعد العود المندلي ، وهوَ منسوبَ إلى مندل قرية من قرى الهند ، من أفضل أنواع العود وأجوده وأصلبه ، ومن خصائصه أن رائحته تثبت في الثوب أسبوعاً ، وأنه لا يقمل ما دامت فيه[74] . ولم يعرف العرب هذا النوع ولم يستوردوه من الهند إلا في العصر العباسي ، عندما جلبه من الهند الحسين بن برمك وأهداه إلى الخليفة المنصور (136-158هـ/ 753- 775م) الذي استحسنه وأمر أن يكتب إلى الهند بحمل الكثير منه ، فاشتهر بين الناس وعز منذ ذلك الوقت[75] . ومن أنواعه المميزة العود القامروني[76] ، وهو أغلى أنواع العود ثمناً وأرفعه قدراً ، وكذلك السمندري[77] الذي يصل وزن القطعة منه مَنّاً واحدا . وقد شاع بين العرب المسلمين في العصر العباسي استخدام أكثر من عشرين صنفاً[78]من أجود أنواع العود التي كانوا يجلبونها من الهند والصين وأرخبيل الملايو وجنوب شرقي آسيا . وكان العود من السلع التي تستهلك يومياً نتيجة لاستخدامه في التطيب والتبخير من قبل الخلفاء والأمراء والمترفين من الناس ، وكذلك للحاجة إليه في تركيب الأدوية ومزجه مع الأطعمة لفوائده الصحية العظيمة ، فهو يقوي الأحشاء والأعصاب ، ويقوي الحواس والقلب ويفرحه ، وينزل البلغم ، ويحبس البطن ، ويمنع من إدرار البول الكائن من البرد وضعف المعدة[79] ، وينفع من الربو

والسعال وضيق النفس وبرد المعدة والكبد والاستسقاء والطحال[80] . وشرب درهم ونصف من العود يذهب الرطوبة العفنة من المعدة ويقويها ويقوي الكبد[81] .

ولقد أشارت المصادر إلى كثير من الطرق والأساليب التي كان يستخدمها العطارون في غش العود ؛ منها على سبيل المثال أن يؤخذ الصندل قشراً مطراً ويبرد به العود ، وينقع في مطبوخ الكرم العتيق شهراً ، يغير عليه بعد كل ثلاثة أيام ، وينشف ويخلط في العود ، فلا يشك أنه ، فيعتبر بالنار ، وقد يغلى فيباع مطراً مدرجاً[82] . ومن طرق العطارين في غش العود كذلك أنهم يأخذون حب الزيتون ينقعونه بماء العنب المستقطر سبعة أيام ، ثم يرفعونه على النار ويغمرونه بماء الورد وقد أخذوا برادة العود وجعلوها في ماء الورد ، ثم يغلون عليه حتى يذهب ربع ، ثم يتركونه حتى يتشرب ويحترزون عليه من الهواء . فإنه يكون عوداً لا يمكن أحسن منه ومن رائحته[83] .

ويبلغ سعر المن[84] من العود الفاخر نحو مئتي دينار[85] وهو مبلغ ضخم بالقياس إلى مستوى المعيشة في تلك الفترة ، حيث إن ثلاث مئة درهم كانت في زمن الخليفة هارون الرشيد (170– 193هـ/ 786– 809م) تكفي احتياجات أسرة مكونة من زوج وزوجة لمدة سنة كاملة[86] . وكان تجار العود يجنون ثروات طائلة من هذه التجارة ، كما أنها كانت تدر أموالاً طائلة على ميزانية الدولة العباسية من خلال المكوس والجبايات والضرائب التي تأخذها الحكومة من السفن والتجار والصناعات . ولقد أشار المقدسي على ارتفاع الضرائب على التجارة ، وذكر أنها كانت ثقيلة كثيرة محدثة في النهر والبر[87] .

ولقد بلغ شغف الخلفاء العباسيين بالعود الهندي أنهم كانوا ينفقون الأموال الطائلة للحصول عليه ويبعثون في طلبه من ملوك الهند ، ويرسلون إليهم السفراء محملين بالجواهر واليواقيت والهدايا الطريفة حتى يحصلوا على العود الهندي النادر الثمين[88] . وبلغت كميات العود المتوافرة في خزائن الخليفة الأمين (193– 198هـ/ 809– 813م) التي أحصاها وزيره الفضل بن الربيع

(ت . 208هـ/ 823م) بعد وفاة هارون الرشيد نحو ألف سفط [89] عود هندي[90] . وأهدى إسحاق بن زياد (ت . 379هـ/ 989م) صاحب اليمن إلى عز الدولة أبي منصور (ت . 367هـ/ 977م) ، في سنة 359هـ/ 969م هدايا من جملتها دقلٌ[91] من عود قماري طوله عشرة أذرع ووزنه ثلاثون مناً[92] . وكانوا يستخدمون هذه الكميات الكبيرة من العود في عمل الغوالي والنُّدُد التي كانوا يتباهون بها ، إذ لا تخلو غالية أو ند من العود الهندي الجيد .

العنبر

أما العنبر فمادة شمعية توجد في أمعاء بعض الحيتان ، وبخاصة الحيتان المعروفة بالحيتان العنبرية ، وعندما تستخرج المادة تجفف فتصبح ذات رائحة طيبة . ومن أسماء العنبر الذكي وخَضّمٌ والوَرْدُ[93] .

وكان العرب القدماء ، ولا سيما الجغرافيون والرحالة العرب المسلمون ، يعتقدون أن العنبر ينبت في عقر البحر ويتكون كتكون أنواع الفطر : من الأبيض والأسود والكمأة ونحوها ، فإذا هاج البحر واشتد ، قذف من قعره الصخور والأحجار وقطع العنبر ، فيخرج العنبر في شكل قطع كبيرة وصغيرة ويتناثر على ساحل البحر[94] ، ويقوم أناس متخصصون بجمعه وتجفيفه وبيعه للتجار . وفي إطار حديثه عن العنبر أكد اليعقوبي هذا الاعتقاد وأضاف أنه «ربما أتت السمكة العظيمة التي يقال لها البال ، فابتلعت من ذلك العنبر الطافي ، وهو يفور ، فلا يستقر في جوفها حتى تموت وتطفو ، ويطرحها البحر إلى الساحل ، فيشقُ جوفها ويستخرج ما فيه من العنبر ، وهو العنبر السَمكيُّ» [95] . وكان العنبر الشحري الذي ينسب على بلاد الشحر (عُمان) يضرب به المثل في الجودة وطيب الرائحة . ومن أوصافه الخفة والبياض والدهنية ، أو أن يميل لونه إلى الخضرة والصفرة ميلاً يسيراً[96] . وكان يحمل منه من مكة والمدينة والحجاز كل عام إلى دار الخلافة ثمانون رطلاً[97] . وبعد العنبر الشحري العنبر الذي يؤتى به من بلاد الزنج (الساحل الشرقي لأفريقيا) إلى عدن[98] ، ومنها يصدر إلى بلدان العالم الإسلامي . ومن أنواع العنبر المعروفة عند العرب المسلمين في العصر

العباسي العنبر الشلاهطي ، والعنبر القاقلي نسبة إلى بحر قاقلة من بلاد الهند ، والعنبر الهندي ، والعنبر المغربي . وكانت أهم مراكز إنتاجه في بلدان الخلافة الإسلامية بحر عمان وسواحل باب المندب وسواحل بلاد المغرب .

وللعنبر كثير من الخواص والمنافع في صحة الأبدان ومعالجة الأمراض تحدث عنها العلماء العرب المسلمون الذين اشتغلوا بالأدوية ، وأوردوها في مؤلفاتهم ، وذكروا كيفية استخدامها والاستفادة منها ؛ فقد ذكر الزهراوي أن العنبر مقو للدماغ والحواس ، نافع للشيوخ[99] ، وهو نافع كذلك من أوجاع المعدة ، ومن الرياح الغليظة العارضة في المعي ، ومن الشقيقة والصداع الكائنين من الأخلاط الباردة إذا تبخر به ، وإذا طُلي به ، ويقوي الأعضاء[100] .

وكان العنبر الخام يدخل أيضاً في تركيب كثير من العطور ومزجها ، وبخاصة الغوالي والنُّدُد والبخورات . كما تصنع منه شمامات فيشمها الناس وينتفعون بروائحها الصحية المنعشة . ويستخدم بعض العطارين طرقاً كثيرة في غش العنبر ومزجه مع الجص والشمع واللاذن[101] والمندة[102] والصمغ . كما أنهم يحفرون العنبر الخام ويلقون فيه قطعاً من الرصاص لزيادة وزنه . ومن وسائل غشه خلطه كذلك ببعر الظباء ثم دقه ودفنه في زبل الخيل سبعة أيام[103] ، ثم عرضه بعد ذلك للبيع ، لذلك كانت المراقبة على العطارين من المحتسب شديدة وصارمة ، وكان لا يسمح بمزاولة مهنة بيع العطر إلا لمن له معرفة وخبرة بهذه المهنة ، وأن يكون ثقة أميناً عنده خوف من الله تعالى .

ونتيجة لارتفاع سعره[104] وشدة الإقبال عليه تنافس التجار في الحصول على العنبر الخام النقي واستيراده من عدن وعمان والهند والمغرب إلى أسواق حواضر الدولة الإسلامية في بغداد والبصرة والقاهرة[105] . وكان العطارون يمزجون العنبر مع أنواع الطيب الأخرى ، ويعملون منه الغوالي والنُّدُد التي كانت تباع بأغلى الأسعار في أسواق المدن الإسلامية . ويعد العنبر من الهدايا القيمة التي يستخدمها الخلفاء في التعبير عن امتنانهم وغبطتهم لرجال الدولة . ففي إحدى المناسبات أهدى الخليفة الراضي بالله في سنة 328هـ/ 939م إلى قائد

الجيش التركي أبي الحسن بجكم (329هـ/ 940م) هدايا متنوعة كان من جملتها صينيتان من ذهب فيها تماثيل من عنبر وند[106] ، كما كانت الهدايا من العنبر تستخدم من قادة الجيوش والأمراء لاسترضاء الخلفاء وطلب مودتهم ورضاهم . فقد أهدى القائد عمرو بن الليث (ت . 279هـ/ 901م) في سنة 281هـ / 894 م إلى الخليفة المعتضد بالله (279– 289هـ/ 842– 902م) ألف مثقال عنبر مع هدايا أخرى متنوعة[107] .

الكافور

ومن أنواع الطيب التي استخدمها العرب المسلمون في العصر العباسي الكافور[108] . وهو نبت طيب الريح يستخرج من شجر كبير ممتد في الطول يصل ارتفاعه من 20 إلى 50 متراً ، وكان يستورد من بلاد الهند وجزيرة سيلان (سيرلانكا) .

وأجود أنواع الكافور الرقيق الشديد البياض القوي الرائحة السليم مما يغش به كالسيبيا والأبردة ونحو ذلك . . . .[109] .وجاء في كتاب «**ربيع الأبرار**» أن الكافور هو ما في جوف شجر مكفور يغرزونه بالحديد ، فإذا خرج إلى ظاهره ضربه الهواء فانعقد كالصموغ الجامدة على الأشجار[110] . ولقد ورد ذكر الكافور في القرآن الكريم في سورة الإنسان ، فقال تعالى في وصف شراب الأبرار في الجنة : «إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا»[111] ، كما ورد ذكر الكافور في الحديث الشريف الذي يصف سوق الجنة . يروي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ، ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ، فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم وما فيهم من أدنى على كثبان المسك والكافور وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً . . . . .[112] .

ومن أهم أصناف الكافور الفنصوري نسبة إلى مدينة فنصور التي تقع في

جنوب جزيرة جاوة[113] ، وهو أحسن أنواع الكافور[114] ، ثم يأتي بعده في الجودة الكافور الرباحي [115] المنسوب إلى ملك يقال له رباح ، وهو أول من اكتشفه واستخدمه . ومن أصناف الكافور الأزاد والأسفرل والأزرق[116] . ويدخل الكافور في الكثير من أصناف الطيب ولكنه لا يدخل الغوالي[117] . ويشير النويري إلى أن الكافور الرباحي المجلوب من أرض فنصور هو دون سواه الذي يستخدم في الطيب وذلك لجودته وحسنه[118] ، أما ما عداه من الأصناف فإنها تستخدم في الأدوية الطبية .

وقد كان الكافور يستخدم في علاج كثير من الأمراض ، مثل الصداع والرعاف وحبس الدم المفرط وسوء المزاج الحار ويقوي القلب . بيد أن الإكثار من استعماله يقطع شهوة الجماع ، وشمه المتكرر يؤدي إلى السهر [119] . وتجدر الإشارة إلى أن التجار العرب المسلمين كانوا يستخدمون الكافور لتبخير اللؤلؤ الكبير الحجم المتغير اللون فيصفو ويعود ويحسن [120] . ويوجد في الوقت الحاضر أكثر من مئتي نوع من أنواع الكافور الذي تنتشر زراعته في أستراليا والهند وكذلك في الصين وبلدان جنوب شرقي آسيا[121] .

ومن أهم العوامل التي ساعدت على رواج تجارة الكافور وازدهارها في العالم الإسلامي استخدامه لتطييب أجسام الموتى . فقد شرع الله عز وجل للمسلمين غسل موتاهم بالماء والسدر والكافور . وفي الحديث عن محمد بن سيرين أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يأخذ الغسل عن أم عطية :يغسل بالسدر مرتين والثالثة بالماء والكافور[122] . وبالإضافة إلى ذلك هناك عوامل أخرى أسهمت في تنشيط تجارة الكافور ، منها تطور العلاقات التجارية بين الدولة العباسية وبين الهند والصين ، وفتح أسواق منطقة الخليج أمام السلع القادمة من الشرق ، وازدهار التجارة البحرية مع بلدان الشرق الأقصى . ولقد برع العرب المسلمون في حفظ الكافور وتخزينه في قوارير زجاجية ملساء من الداخل ، وخلطه مع حب صغير أسود مستطيل يسمى الشمشم ، ويغطى بأوراق قصدير ويُحكم سده ، ويستر ويوقى من الحر ووهج النار ومباشرة الأجسام

الحارة [123]حتى يبقى فترة طويلة محافظاً على رائحته الذكية . وكان الكافور من جملة السلع التي ينقلها التجار العرب المسلمون إلى الصين ، وكانوا يجنون من تجارته أرباحاً طائلة . ويؤكد الرحالة سليمان التاجر في معرض حديثه عن نشاط التجار في الصين هذا الأمر ، ويذكر أن مَنَّ الكافور في مدينة خانغو في الصين يصل إلى نحو خمسين ألف فلس [124] . ومن جهة ثانية بالغ الخلفاء العباسيون في استيراد الكافور واستهلاكه ؛ فقد قدر ما استعمل من الكافور الرباحي في عهد الخليفة الراضي بالله (322– 329هـ/ 933– 940م) في يوم واحد بأكثر من ألف مثقال[125] .

الصندل

كان الصندل من بين أهم العطور التي يستوردها العرب المسلمون من الهند والصين وجزر المحيط الهندي . والصندل خشب يقطع رطباً من شجر عظام ، ويستورد من الصين والهند وغيرها من بلدان جنوب شرقي آسيا . ويظهر طيب الصندل بالدلك أو الإحراق . ومن أشهر أنواعه الأبيض والأصفر والأحمر [126]ويستخدم الصندل الأحمر في الأدوية . أما الصندل الأبيض فيستخدم في الأدوية والطيب . ويعد الصندل الأصفر الدسم الرزين الذي كأنه مسح بالزعفران من أجود أنواع الصندل [127]وأفضلها لأعمال الطيب [128] ، ويسمى عند العرب المسلمين بالمقاصيري نسبة إلى بلد تسمى مقاصير[129] ، وقيل إنه أخذ هذه التسمية بسبب أن بعض خلفاء بني العباس اتخذ لبعض أمهات أولاده مقاصير منه . ويلي الصندل الأصفر الصندل الأبيض ثم الصندل الأحمر الذي يميل لونه إلى السمرة ويسمى الجوري السبط نسبة إلى البلد التي يستورد منها وتسمى الجُور . وهذا النوع من الصندل صلب ، وله رائحة طيبة إلا أنه ضعيف الرائحة [130] ومن أنواع الصندل الساوس أو الكاوس ، وهو صندل أصفر طيب الرائحة لكن تشوب رائحته زعارة [131] . ومن أنواعه أيضاً صندل جعدة الرأس ، والصندل الأحمر ، والصندل النجاري ، والأخير خشب صلب ثقيل الوزن لا رائحة له ولا يدخل في الطيب ، ويستخدم في المنجورات والمخروطات كالدُّويّ (جمع دواة) وقطع الشطرنج والأسرّة وغيرها من الأدوات الخشبية المنزلية .

وبالإضافة إلى فوائده العطرية واستخدامه في الأثاث المنزلي له فوائد طبية كثيرة اختبرها الأطباء وتحدثوا عن منافعها ووصفوها لمرضاهم ، منها على سبيل المثال تقوية البدن ومنع الخفقان وتقوية المعدة وتسكين الصداع وهو يدخل كذلك في كثير من الضّمادات[132] . ومن أبرز مزاياه أنه من الأدوية التي تبقى قوتها ثلاثين سنة لا تتغير مع مرور الزمن . وكان التجار يختبرون الصندل بوضعه في الماء فإن رسب فهو مغشوش بالرخام وغيره من الأحجار ، وإن عام فهو سالم لا غش فيه[133] وتُعد كل من عمان [134]وعدن [135]من أهم الأسواق لتجارة الصندل ، ومنهما يتجهز به إلى معظم مدن الديار الإسلامية .

وإضافة إلى ذلك ، استورد العرب المسلمون أصنافاً أخرى من الطيب مثل السنبل والقسط ، واستخدموا المر واللبان والمصطكى والميعة .

نخلص مما تقدم أن معرفة العرب المسلمين بالعطور لم تقتصر على استيرادها واستخدامها في التطيب والتبخير ، بل تعدى ذلك إلى معرفة أنواعها وصفاتها ، وكيفية التعامل معها وحفظها وتخزينها ، حتى تبقى فترة طويلة محافظة على روائحها الذكية ، وفرقوا بين الجيد والرديء ، واستفادوا منها في الأغراض الطبية . ولقد بلغ ولع الخلفاء ورجال البلاط والمترفون من الناس بالروائح العطرية أنهم كانوا يرسلون في طلبها من مراكز إنتاجها ، وينفقون عليها أموالاً طائلة ، وكانوا يمزجونها مع الطعام ، ويتبادلونها في المناسبات العزيزة .

صناعة العطور

لم يقتصر الأمر عند العرب المسلمين على استيراد الخام من العطور المختلفة من البلدان المجاورة والبعيدة وبيعها لاستخدامها في التطيب والتزين والتداوي ، بل قاموا بتطويرها وأدخلوها في صناعة كثير من الغوالي والندود والبرمكيات والرامك والسك والذرائر وغيرها من أنواع العطور المركبة التي برعوا في استخلاص أجزائها وصناعتها ، وتصدير ما يزيد منها عن حاجتهم إلى البلدان المجاورة .

الغوالي

سبقت الإشارة إلى الغوالي على أنها ضرب من الطيب المركب يقال إن أول من سماها بذلك هو معاوية بن أبي سفيان بعد أن دخل عليه عبدالله بن جعفر ورائحة الطيب تفوح منه ، فقال : ما طيبك يا عبدالله؟ فقال : مسك وعنبر جمع بينهما دهن بان فقال معاوية : غالية ، أي ذات ثمن غال[136] . ولقد حفظت لنا كتب التراث العربي الإسلامي الكثير من المعلومات القيمة المتعلقة بطقوس صنع الغوالي ، وأهم الآلات التي تستخدم في صنعها ، والوقت المناسب الذي يصلح أن تعمل فيه . فيذكر الزهراوي أن «أصلح الأوقات لصناعة الغوالي وجميع الطيوب وَجْه السَحَر قبل طلوع الشمس بسبب اعتدال الهواء في هذا الوقت ، ويستحسن لذلك أن يكون الهواء ساكناً ، وإذا كان ذلك في فصل الربيع كان أفضل»[137] . أما بخصوص أهم الآلات التي ابتكرها العطارون واستخدموها لصنع الغوالي فتتكون من :

1 – هاون من الذهب الخالص لسحق المسك .

2 – صلاية زجاج (بفهر[138]زجاج) .

4 – يذاب العنبر في محادز من حجر يُؤتى به من مكة أو مدهن حجر أسود يأتي من العدوة[139] .

ونظراً لأن منتجاتها غالية الثمن فقد كان العطارون والتجار العرب المسلمون ينصحون بتعبئة هذه الأنواع من العطور وحفظها وتخزينها في أوانٍ من الذهب الخالص أو من الزجاج الأبيض المستورد[140] ، حتى لا تضعف رائحتها وتختفي .

وللعطور أحكام وقوانين تتعلق بتركيبها ومزجها وسحقها . كما ينبغي على العطار أن يكون دارساً عارفاً بالإحراق والتصعيد والاختبار وغيرها من الأحكام والقوانين التي يعول عليها في صناعة الروائح العطرية ومزجها .

وعلى ذلك فإن صناعة الغوالي تتطلب خبرة ودراية بأنواع العطور وطبائعها ومنافعها ، وكذلك درجة رائحتها وطريقة تركيبها وخلطها وسحقها . كما تتطلب معرفة القطران وتصعيده واستخدام آنية التقطير . وتختلف طريقة صنعها وتركيبه باختلاف نوعها . فالغوالي أنواع كثيرة ، ولكل منها طريقة خاصة في التركيب والصنع والتسمية . ويستطيع المرء أن يتبين من وصف العطارين والأطباء العرب المسلمين لكيفية عمل الغوالي وطريقة سحق موادها بخلط محكم ، الطريقة المعقدة في صنع أجزائها وتوليفها . فقد جاء في صفة عمل نوع واحد منها أن تؤخذ «أوقية مسك ، يسحق المسك برفق لكيلا يحترق ، ثم يُنْخل بمنخل شَعر ، ثم يؤخذ نصف أوقية من العنبر فيذاب على نار لينة خفيفة ، فإذا همَّ بالذوب قُطر عليه قليل من ألبان الطيب ، ثم ينزل عن النار ويُصفى بحريرة ، وبعد ذلك يوضع المسك في الصّلاية مع العنبر فيسحقان برفق حتى يمتزجا ، ويُجرد المسحوق بصفيحة ذهب ، ثم ترفق الغالية بألبان حسب الطلب»[141] .

وتعد الغوالي من العطور المعتدلة . ومن منافعها أنها تفرح القلب ، وهي تستخدم كذلك في علاج كثير من الأمراض المعروفة مثل أوجاع الأذن وأوجاع الرحم وأورامها الصلبة والبلغمية[142] . ومقدار شربة نصف درهم[143]يومياً من الغالية المتداولة تنفع في الصرع والصداع . وأضاف التنوخي فائدة أخرى وهي أن استخدام الغوالي والإكثار منها في فصل الشتاء يساعد على الشعور بالدفء ومقاومة الجو البارد[144] .

وكانت الغوالي من العطور التي تنتج بكميات كبيرة وتعمل للخلفاء والملوك والأكابر ، ويحتاج تركيبها ومزجها أموالاً طائلة ؛ لذلك كانوا يحافظون على سر صناعتها حتى لا تصل لغيرهم . وقد شاع بين الخلفاء اختيار غالية يستشار الخليفة في عملها وطريقة مزجها وخلطها وتصبح مقاديرها خاصة به وتنسب إليه . ومن أشهر الغوالي التي اشترك الخلفاء في اختيار أجزائها ومقاديرها ونسبت إليهم غالية هشام بن عبدالملك[145] ، وغالية الرشيد[146] ،

وغالية الواثق[147] . وذكر اليعقوبي غالية كانت تعمل لحميد الطوسي (ت . 214هـ/ 829م) ولأم جعفر البرمكي وكانت تعجب المأمون ، ويصنعونها أيضاً لمحمد بن سليمان[148] . وأرسل العباس بن محمد بن علي (ت . 186هـ/ 802م) لخديجة بنت الرشيد جرة مملوءة غالية ومعها رقعة مكتوب فيها : هذه جرة أصيبت هي وأختها في خزائن بني أمية ، فأما أختها فغلبت عليها الخلفاء ، وأما هذه فلم أر أحداً أحق بها منك ، والسلام[149] . وخير شاهد على الإنتاج الكبير من الغوالي واهتمام الخلفاء بحفظها وتكديسها في قصورهم ما عثر عليه من كميات هائلة من الجرار المليئة بالغوالي الثمينة والنادرة في مخازن الخلفاء العباسيين . فيذكر ابن الزبير أنه لما تولى الأمين الخلافة (193– 198هـ/ 809– 813م) أحصيت في سنة 193هـ/ 808م خزائن الدولة فوجد فيها من الغوالي نحو ألف برنية[150] غالية[151] . وفي عهد الخليفة المعتضد بالله (279– 289هـ/ 842– 902م) كان مجموع عدد الجرار من الغوالي الفاخرة الموجودة في قصر الخليفة نيفاً وثلاثين حباً[152] صينياً ، مما عمله وحفظه عدة من الخلفاء السابقين ، وكان من ضمنها غالية الواثق[153] التي كان يضرب بها المثل في ذكاء الرائحة وطيبها .

ولقد بالغ البعض في استعمال الغوالي والإكثار منها إلى درجة عدم احتمال رائحتها في المجالس وتجنب الجلوس بالقرب منه مدة طويلة . ومن هؤلاء إبراهيم بن المهدي الذي كان يستخدم منها كل يوم مقدار أوقية يلطخ بها رأسه ولحيته ، حتى إن الخليفة المعتصم كان يجتوي رائحتها ، ولا يستطيع الصبر عليها ويقاسي من إجلاس إبراهيم إلى جانبه ما يتكلفه ولا يبوح به . فلما زاد ذلك عليه أجلس علي بن المأمون فيما بينه وبين إبراهيم[154] . وفي ضوء ما تذكره المصادر فإن طريقة استعمال الغوالي تكون في وضعها في أصول الشعر بحيث تشم ولا يُرى لها أثر[155] . ومن المناسب هنا أن نذكر رأياً كان شائعاً في تلك الفترة وهو أن الإكثار من استخدام الغوالي حسب ما ذكر التنوخي في كتابه «**نشوار المحاضرة**» يسبب العمى[156] .

النُّدُد أو الندود

الند [157]عود يتبخر به مطرى بالمسك والعنبر والعود ، وهو في البخور كالغوالي في الأدهان ، وفائدته البطء في النار ، ووضعه في الشمع يجعل رائحته تدوم بدوام الشمعة في المجالس ، وقد يوضع في مباخر محكمة الطبق بين الفرش والثياب[158] .

ولقد شاع في العصر العباسي استخدام النُّدُد . ومن أنواعها المعروفة والمشهورة ثلاثة أنواع : النوع الأول هو المعروف باسم المثلث ، ويعد أجود هذه الأنواع وأقواها رائحة . وتتكون أجزاؤه من العنبر الطيب والعود الهندي الطيب والمسك الطيب[159] ، حيث يعجن هذا المزيج بالمسك ويقطع قطعاً صغيرة مستطيلة ، وتجفف ، وترفع[160] . والنوع الثاني تتكون أجزاؤه من عشرة مثاقيل من العنبر الخام الطيب ، وعشرة مثاقيل من النَّدَّد العتيق ، وعشرين مثقالاً من العود الجيد . والنوع الثالث هو أدناها ويسمى السوقي ويؤخذ لكل عشرة مثاقيل من الخام عشرة مثاقيل من الند العتيق ، وثلاثون مثقالاً من العود ، ومن المسك ما أحب المستعمل[162] .

والحق أن العطارين برعوا في عملية تركيب هذه العناصر وخلطها ، واستخرجوا منها مزيجاً من الروائح العطرية في غاية الذكاء والجودة . ولقد ساعدهم على ذلك اهتمام الخلفاء والأكابر والمترفين وعامة الناس الذين جُبلوا على حب الترف والبذخ والرغبة في التأنق . ويصف النويري طريقة عمل نَد فيقول : «يؤخذ من العود الهندي القامروني أو العود القماري عشرة مثاقيل ، ومن المسك التبتي المنقّى من أكراشه وشَعره عشرون مثقالاً ، يسحق كل واحد منهما بمفرده ، وينخل بحريرة صينية ثم يجمعان على الصّلاية ، ويضاف إليها الكافور الفنصوري مثقال واحد ، ويُحَلّ لذلك من العنبر الأزرق ثلاثون مثقالاً في تَوْر حَجر أو في عباسية صيني حلاً لطيفاً بنار لينة ، بعد أن يُقرَّض العنبر ليُسرع انحلاله ، وسبيل التَّوْرِ أن يُحمل على النار قبل أن يلقى فيه العنبر ، ليقل

مُكث العنبر على النار ، فإذا انحل العنبر أنزل عن النار ، وألقي فيه المسك والعود والكافور بعد إنعام سحقها ، ويضرب ذلك مع العنبر في التور بملعقة من فضة أو حديد ضرباً جيداً حتى يصير جميعه جزءاً ؛ ثم تُبَلّ سكين ويمسح بها ما تعلق على الملعقة ، ويوضع على قطعة من الرّخام ملساء قد مسح وجهها بالماء ، تُبل اليد ، ويؤخذ بها المعجون ، ويفتل على الرخامة فتلاً متساوياً ويقطّع شوابير بسكين مبلولة بالماء ، على ما يراه من المقادير ، وإن خشيت أن يبرد المعجون فيجمد ، جعلت التور الذي فيه المعجون على رماد حار» [163]ومن اللافت للنظر هنا إبداع العطارين في اختيار مفردات العناصر المكونة للندود ومزجها بعضها مع بعض في مقادير لم تكن بالتأكيد تقوم بشكل عفوي ، بل كانت تخضع لفحص ودراسة وتجربة ، حتى تكتسب توازناً وانسجاماً بعضها مع بعض . كما يلاحظ أيضاً التأكيد على استعمال الأدوات والآلات المستخدمة في المزج من الفضة والحديد والرخام لضمان جودة المادة المستخرجة .

ولقد شهد العصر العباسي فترة ازدهار في صناعة النُّدُد ، وتفنن في تركيب عناصرها ومزجها . وكان لبغداد شهرة كبيرة في هذا المجال ؛ فقد كان يصنع فيها الند المستعيني المنسوب للخليفة العباسي المستعين بالله (248– 252هـ/ 862– 866م) واشتهرت من أهل بغداد في هذه المهنة العطارة بُنان التي كانت متخصصة في صنع النُّدُد للخلفاء والأمراء . فقد كانت تقوم بصنع ند خاص للخليفة الواثق بالله (227– 232هـ/ 841– 846م) وتصنع نداً آخر لجعفر المتوكل . كما ظهر من بين أمهات الخلفاء من برع في صناعة الندد وتركيبها ومزجها ، من هؤلاء شغب أم الخليفة المقتدر (ت . 321هـ/ 933م)[164] وكانت الندد من الهدايا القيمة والثمينة التي يتبادلها الملوك والأمراء والتجار ؛ فقد أهدت قطر الندى بنت خمارويه (ت . 287هـ/ 900م) إلى الخليفة المعتضد بالله (279– 289هـ/ 892– 901م) في يوم النيروز من سنة 282هـ/ 895م هدية من جملتها عشرون صينية من الذهب ، في عشر منها عشرُ مشامَّ عنبراً ، وفي عشر منها عشر مشامَّ ند معجون ، وزنها أربعة وثلاثون رطلاً[165] .

ولقد حرص العلماء المتخصصون بأمر العطر وأعمال الطيب على شرح طريقة استعمال الندد في البخور والتنبيه إليها ، وبينوا أن الأساس في عمل الندد يعتمد على جودة العنبر والمسك والعود والكافور وغيرها من الأطياب المستخدمة في الندد ، ثم يأتي بعد ذلك جودة النار التي يبخر بها ؛ إذ يجب أن لا يكون في الفحم شيء من الزهومة ، لأن ذلك يفسد البخور ، ويقطع رائحته [166] .

أما فيما يتعلق بمنافع الندد فتشير المصادر إلى أنها فضلاً عن طيب رائحتها فهي تنفع من نزلات البرد ، وتقطع الرطوبات التي تنحدر من الدماغ ، وتقويه ولا سيما في فصلي الشتاء والخريف [167] وهي تقوي كذلك الحواس وتنعش الأرواح وتحرق الشهية وتحد الفكر لمازجة دخانها[168] .

وفي معرض الحديث عن العطور لا بد من الإشارة – ولو بشيء من الإيجاز – إلى البرمكيات وأنواعها وكيفية صنعها . والبرمكيات مفردها برمكية : هي نوع من الطيب المركب من عدة أصناف عطرية وتنسب إلى آل برمك ؛ لأن الوزير جعفر بن يحيى البرمكي (ت . 187هـ/ 802م) أول من ابتكرها وصنعها للخليفة هارون الرشيد .

وتنقسم البرمكيات إلى نوعين : نوع منها يصنع على شكل بخور يتطيب منه بإحراقه باستخدام التجمير فتخرج منه روائح ذكية . وهذه البرمكيات تدخل ضمن أنواع الندد وهي تعد من أجود أنواعها . ولقد أشار ابن العديم إلى هذا النوع من الندد ، وقدم وصفاً لكيفية صنعه فقال : عود نصف وربع أوقية ، صندل مقاصيري نصف أوقية ، قلوب قُسط حلو بعد نقعه في ماء ورد ، يقشر ويجفف في الظل ، نصف أوقية ، ومن السك مثله ، ومن الزعفران المطحون سدس أوقية ، مصطكا درهم ، أظفار قرشية نصف درهم ، لاذن رطب درهم ، ومن ابنا الزمان الخالص مثله ، ومن كافور رباحي ربع مثقال ، يُدقّ الجميع ، وينخل ، ويُحلّ اللاذن على نار لينة بماء ورد مغلي ، يُجبل بالحوائج المدقوقة ، ويُخلى تداخله ، ثم يؤخذ ماء التفاح الشامي البالغ جزء ، وماء النّمام نصف جزء ، ويُعجن به ، ويُخلط ، ويسحق الكافور بعد عجنه ، ويُلقى عليه ، ويُخلط ، ويخمر ليلة ، ويُعمل طوابع على أي شكل شئت ، ويُنشف في ظهر منخل ، ويُبخّر به[169] .

أما النوع الثاني من البرمكيات فهو : خليط من العطور تسحق وتقطر ويتطيب بدهنها وتدخل ضمن الغوالي وتعد من أرفع الغوالي . ويتكون تحضير دهن برمكي من المقادير والمكونات التالية : تأخذ من ألبان الرفيع ثلاثين درهم ، ومن الزنبق السابوري مثله ، ومن الورد الفارسي مثله ، وتأخذ من العود الهندي أوقية ، ومن الصندل الأصفر أوقية ، ومن جَوزبُوا[170] أوقية ، ومن القرنفل الزهر أوقية ، ومن الهَرْنُوَة أوقية ، ومن البسباسة نصفَ أوقية ، ومن السك المرتفع الأول أوقية ، ومن المسكَ ثلاثة مثاقيل ، ومن العنبر مثقالين ؛ تدق جميع الأفوه كل واحد على حدته ، وتُنخل بحريرة ، ويُحل العنبر ببان الغالية ، ويُعجن به الجميع بعد أن يحل بزنبق سابوري عجناً يابساً ، ويصيرً في برنية رحبة الجوف واسعة الفم ، ويُبسط فيها بسطاً رقيقاً ، ويبخَّر يوماً بالقُسْط الحلو ويوماً بالعود النّيئ ، ويوماً بالصندل الأصفر ، ويوماً بالزعفران ويوماً بالسُّك الرفيع ، ويوماً بالعود والكافور والعنبر ؛ ثم يؤخذ من كل واحد منها نصفُ مثقال ، ويقطّع ويبخّر ، فإذا انتهى تبخيره فصُبَّ الدهن عليه ، وحركه فيه تحريكاً جيداً ، واتركه يوماً وليلة ، ثم صَفّ الدهن عن الأثقال في برنية قد بخرتها بمثقال مسك ومثقال عنبر ، ونصف مثقال كافور رياحي ، وسد رأسها سداً جيداً[171] .

الرامك

ومن الروائح العطرية المركبة التي اشتهرت في الدولة العباسية خلال العصور الوسطى الرامك[172] . ويذكر الأنطاكي أن الرامك أصله يوناني وهو من ابتكار الطبيب اليوناني المشهور جالينوس[173] . وأجود أنواع الرامك هو الضارب إلى الحمرة ، النضيج الطيب ، المحكم التركيب والتقريص[174] . ويعد الزبيب والعَفْص والبلح والعسل من أهم مكونات تحضير الرامك . ويصف صاحب «**قاموس الأطبا**» طريقة تحضير نوع من الرامك فيقول : يؤخذ من الزبيب ثلاثة أرطال ، ومن الما العذاب مثل ذلك ، ويغلى فيه جيداً ، ثم يعصر الزبيب ويصفى ويرمى بنقلة ، ثم يؤخذ من العفص ستة أرطال ومن العسل ثلاثة أرطال ومن القرفة والقرنفل والسليخة والورد من كل واحد ثلاثة أواق (جمع أوقية) ، ثم

يرفع الكل على النار بعد الدق والنخل مع الزبيب ، ثم يغلى برفق إلى أن يسخن ، ثم يصب على بلاطة قد دهنت بدهن الخيري ، ثم يقرص ويجفف ويرفع لوقت الحاجة[175] .

وإضافة لاستخدامه في الطيب كان الرامك يستخدم في علاج الكثير من الأمراض ، ودرهم واحد من الرامك يسكن الحرارة ، ويقوي المعدة والكبد إذا سقى مع ماء الآس[176] ومن منافعه أيضاً أنه يقطع الإسهال المزمن والدوسنطاريا والنزف والذرب والسعال وأوجاع الصدر[177] . وإذا ضمدت به الأورام الحارة في ابتدائها ، سكن ألمها[178] .

وكان يتخذ من الرامك نوع من الطيب يركب من مسك يسمى المسك . وهو أنواع : منه ما يتخذ من الأملج ، ومنه ما يتخذ من العفص والبلح ، ومنه ما يتخذ من الرامك والمسك وهو ما يسمى بسك المسك . ولقد أوضح ابن رسول أن السك الأصلي كان يتخذ من الأملج ؛ ولما عسر الحصول على الأملج استخدم العطارون العفص والبلح مع المسك ، وأصبح يشبه في تركيبه عمل الرامك[179] ويدخل السك في كثير من أعمال الطيب وخصوصاً الغوالي . وأفضل أصنافه سكُّ المسك ، وجاء وصفه في المصادر بأنه غاية في الطيب . ويصف الزهراوي سك المسك فيقول عنه : إذا تَطَعَّمْتَهُ وجدت فيه طعم المسك ، وإذا شممته وجدته ذكي الرائحة تشم عليه رائحة المسك[180] . أما طريقة تحضير السك واستخلاصه فتتم كما يلي : يضاف إلى كل رطل من الرامك المتقدم ذكره مثقال من المسك صبغة السك المتخذ من البلح عشرة أرطال ، ويغلى ويكشط رغوته ، ويضاف إليه ثلاثة أرطال عفص أحمر ناعم ، ويطبخ حتى ينعقد قليلاً ، ويرفع عن النار ، ويؤخذ ورد رطل سنبل ، ولسان عصفور[181] وبسباسة وجوزبوا وقرنفل وقاقلة[182] ودار صيني وصندل من كل واحد ثلاثة أوراق ، عود هندي أوقية ، زعفران نصف أوقية ، صمغ عربي رطل يدق الجميع ناعماً ويعجن بماء البلح والعفص . ويقرص على بلاطة مدهونة بدهن لوز ويرفع لوقت الحاجة[183] .

صناعة المياه العطرية

ازدهرت في العصر العباسي صناعة تقطير الزهور واستخلاص الماء المعطر وبيعه وتصديره إلى الخارج . ولقد أسهمت زراعة الأزهار والورود ، وانتشار الحدائق والبساتين في بغداد والبصرة والكوفة وسابور وجور وغيرها من المدن الإسلامية في ازدهار هذه الصناعة وتطورها . ولقد أشار اليعقوبي إلى كثرة البساتين والأجنة في أرباض بغداد[184] ، وتحدث المقدسي عن بساتين سابور[185] وعبقها بروائح الياسمين[186] ، وأشار ابن الفقيه إلى كثرة رياحين سابور وبساتينها وقال : «من دخلها لم يزل يشم ريحاً طيبة حتى يخرج منها»[187] . كما تحدث ابن حوقل عن مدينة جور ووصف حسن بساتينها ومتنزهاتها وكثرتها ، وأشار إلى نرجس شيراز الذي يشبه ورقه ورق السوسن وفي داخله عيون صُفر كعيون النرجس[188] . وبلغ عدد بساتين مدينة نصيبين وقراها أربعين ألف بستان[189] ، واشتهرت مصر بزراعة سبع أنواع من الأزهار هي : النرجس والبنفسج والبان ، والورد السويّ ، ويعرف أيضاً بالقحابي ، والزهر ، والياسمين ، والورد النصيبي[190] . أما في دمشق فقد اشتهرت قرية المزّة[191] بكثرة الزهور والورد[192] .

وتعد صناعة ماء الورد وتقطيره من أهم صناعات المياه العطرية التي ازدهرت في الدولة العباسية . وتعد مدينتي جور وكوار[193] في فارس من أهم مراكز صناعة ماء الورد المتخذ من الورد الجوري[194] الأحمر وهو أجود أنواع الورد المستخدم في صناعة مياه الورد العطرية ، كما ازدهرت صناعة ماء الورد في مدينة البصرة[195] .

وكذلك في مدينة نصيبين[196] . ومن أنواع مياه الورد الجيدة الماء المتخذ من الورد النصيبي الأبيض العطر والمستخرج بأنبيق وقرع[197] فوق بخار الماء[198] . وازدهرت صناعة ماء الورد في مدينة دمشق وكان ماء الورد المزّيّ يصدر إلى الحجاز وغيرها من المناطق البعيدة مثل الهند وبلاد السند والصين[199] . ولقد وصف ابن العديم من مياه الورد العطرية اخترنا منها تصعيد ماء الورد الرطب . وتتم طريقة تحضيرة كالتالي : يؤخذ الورد الأحمر الطري ،

يفرط ، وتنزع أقماعه ، ويصب على الأقماع ماء مغلي ، ويغم يوما ، ثم يحشى الورد في قرعة ثلثيها حشوا شديدا ، ويصب على كل رطل من ورق الورد ثلاث أواق من الماء المنقوع فيه الأقماع ، ويستقطر ، فأنه يجي حسنا ، وإن ترك فيه كافور فهو أحسن[200] .

ونظراً لجودته وتعدد استخداماته وكثرة الإقبال عليه ، كان ماء الورد الجوري من ضمن خراج إقليم فارس الذي كانت تدفعه لبيت المال في بغداد . فقد أورد ابن خلدون قائمة بموارد بيت المال ببغداد أيام الخليفة المأمون وذكر أنه من جملة ما دفعته فارس للدولة ثلاثون ألف قارورة ماء ورد[201] .

أما فيما يتعلق بأنسب الأوقات لاستخدام ماء الورد فتشير المصادر إلى أن فصل الخريف هو أفضل الفصول لاستعماله [202] والاستفادة من مزاياه والتمتع برائحته . ومن الفوائد الطبية لاستخدام ماء الورد أنه يقوي الدماغ ، ويسكن وجع العين ، وشمهُ يسكن الصداع الحار ، ويزيل الغشى ، وينبه الحواس الخمس ، وينشط النفْس ، وينفع الخفقان الحارّ ، ومضمضته تشد اللثة ، وشربه يقوي المعدة ، بيد أن الإكثار من استخدامه يبيض الشعر[203] .

ومن جهة أخرى فقد سعى العطارون إلى تطوير صناعة مياه الورد العطرية وذلك بإضافة عناصر عليها ومزجها مع مياه الورد لتخرج منها أصناف جديدة من الطيب . منها على سبيل المثال تصعيد ماء المسك وماء الورد ويكون ذلك بأن يؤخذ من المسك دانق ؛ ومن ماء الورد الجوري رطل فيسحقان ، ويضرب المزيج بماء الورد ، ويترك فيه ساعة ثم يوضع في القرعة ويركب على رأسها الأنبيق ، ويصعد على هباء الماء ، فأنه يخرج منه ماءُ مسك لا بعده ؛ ومن أحب الزيادة في المسك أو النقصان فعل ، ويصعّد على أثره ماء ورد بغير مسك ، فأنه يأتي ماءَ مسك دون الأول[204] .

ولم يقتصر العطارون على استخلاص المياه العطرية من الورد فقط ، بل تمكنوا من الحصول عليها من الكافور والزعفران والصندل والتفاح ، ونجحوا في تحضير خليط من مياه عطرية متناغمة في النسب والتركيب . ومما تجدر ملاحظته

أن ماء الورد وخاصة ماء الورد الجوري يشكل مركبا رئيسا ، ويدخل في عملية المزج لاستخلاص أنواع كثيرة من المياه العطرية المستحضرة . فطريقة تحضير ماء الكافور على سبيل المثال هي : أن يؤخذ من ماء الورد الجوري رطلان فيوضع في قرعة التقطير ويُلقى عليه من الكافور الرباحي زنة مثقال مسحوقاً ، ويُشد رأس القرعة وتترك ثلاثة أيام ثم تُقطر . وتصنيع ماء الزعفران يتطلب نصف أوقية من الزعفران ، ورطلين من ماء الورد ، ينقع فيه الزعفران ليلة ثم يُصعد[205] .

صناعة الأدهان العطرية

ازدهرت عند العرب المسلمين في العصر العباسي صناعة الأدهان العطرية ، وكانت أهم مناطق إنتاجها وتصديرها البصرة والكوفة وسابور . فقد اختصت البصرة بإنتاج دهن البنفسج وتصديره[206] . وعرفت الكوفة بتصدير دهن البنفسج ودهن الخيري[207] . ولقد ذكر ابن وحشية أكثر من أحد عشر نوعاً من الأزهار والورود التي تزرع في إقليم بابل ويستخرج منها أدهان ذكية . وتتضمن هذه الأنواع أدهان البنفسج والخيري والسوسن واللينوفر والنرجس والأقحوان والياسمين والخزام والآس وغيرها من الأدهان[208] . وكانت مدينة سابور في إقليم فارس تشتهر بإنتاج أنواع كثيرة من الأدهان . ويشير المقدسي إلى عشرة أدهان كانت تصنع في مدينة سابور هي : دهن بنفسج ونينوفر ونرجس وقرنفل وسوسن وزنبق وآس ومردقوش وياسمين ونارنج[209] .

وخليق بنا هنا أن نشير إلى أن صناعة الأدهان ، كغيرها من العطور ، تتطلب خبرة ومهارة وصبراً ؛ إذ تستغرق عملية السحق والتقطير والتصفية والحصول على دهن فائق الجودة أكثر من أربعين يوماً من المتابعة والمراقبة . يصف الزهراوي طريقة صنع الأدهان البسيطة من البنفسج والخيري والياسمين والسوسن والأقحوان والنرجس فيقول : «يؤخذ من الورد الأحمر الذي لا عفونة فيه بعد أن يُنزع بياض ورقه بالظفر : ثلاث أواق ، يُبسط الورد يوماً حتى تذهب مائيته ، ثم يُنقع في رطل من زيت معصور من الزيتون الذي لم ينضج ، وذلك في إناء من زجاج ، وتشد فوهته شداً محكماً بالجبص ، ويوضع في الشمس

تحت السماء مدة أربعين يوماً ثم يصفى . وقد يُصنع بأن يُدلى في بئر من غير أن تُغمس القارورة في مائها ، ويترك كذلك أربعين يوماً»[210] .

أما أهل العراق فإنه كانت لهم في صناعة الأدهان طريقة بسيطة وخاصة بهم وهي أن : يؤخذ السمسم ، وأفضله المقشر ، فيُربَّت بالورد مرات ما بين تسع إلى عشرين ثم يعصر ويستعمل[211] .

ومن أهم الإضافات التي أسهم بها العرب المسلمين في صناعة الأدهان وأضافوا بها على صناعة العطور بشكل عام أنهم قاموا بدراسة أعمار الروائح العطرية والعقاقير والأدوية التي يستخدمونها في المزج ، وتهيئة الظروف التي تساعد على اختزانها وحفظها أطول مدة ممكنة للاستفادة منها بشكل أفضل . فقاموا أولاً بتصنيفها إلى نباتية وحيوانية ، وفرقوا بين صناعة العطور التي تستخدم من أجل التعطر والتطيب ؛ مثل المياه والزيوت والأدهان ، وبين صناعة العطور التي تستعمل أدوية تشرب وتدخل في جسم الإنسان أو توضع للأوجاع والأورام والقروح وغيرها مثل الأشربة والمراهم [212]والمسوحات واللطوخات[213] واللخالخ [214] والذروات [215] والسعوطات والشيافات [216] والأقراص والمعاجين . ثم درسوا بعد ذلك أحوالها ، واستنبطوا خواصها ، وتعلموا طرق حفظها من الهواء والرطوبة ، واكتشفوا من تجاربهم الشخصية أن الأصماغ تبقى محتفظة بقوتها ورائحتها نحواً من ثلاثين سنة ، على حين تحتفظ الألبان مثل السقمونيا والأفيون بقوتها من ثلاث سنوات إلى عشرين سنة ، وأما الأدهان فتفسد في أقل من عامين ، وما استعمل بعد العامين منها فلا خير فيه لا سيما دهن الورد ودهن البنفسج[217] .

التقنيات المستخدمة في تركيب ومزج العطور

وللحصول على روائح عطرية متجانسة وفي غاية الطيب استخدم العطارون كثيراً من التقنيات والعمليات الكيميائية الخاصة بتركيب العطور ومزجها وفصلها وتنقيتها ، وكانت تسمى عندهم بـ «التدابير» وهي التطبيقات العملية نذكر منها على سبيل المثال :

التقطير : وهو عبارة عن تبخير سائل بواسطة الغلي وإعادة تكثيفه . ولقد عرفته مصادر العصور الوسطى بأن يوضع الشيء في القرع ، ويوقد تحته فيصعد ماؤه إلى الأنبيق ، وينزل إلى القابلة ويجتمع فيه[218] . ويعد التقطير من أهم الطرق المستخدمة في تنقية العطور والتخلص من الشوائب العالقة فيها . وتتميز هذه العملية بسهولتها وقلة تكاليفها وتستغرق ما بين ثماني ساعات «ليلة كاملة» إلى ثلاثة أيام[219] ، وتستخدم في عملية التقطير آلات مثل القرع والأنبيق والقابلة والموقد والنافخ .

التصعيد : ويعني الحصول على الجزء المتطاير من المادة عن طريق تحويلها مباشرة بواسطة التسخين إلى بخار دون أن تميع ، وجمعها باستعمال المكثف واستقبالها في دورق خاص . وجاء في لسان العرب أن التصعيد : الإذابة ، ومنه قيل : خَلٌّ مُصَعَدٌ إذا عُولج بالنار حتى يحول عما هو عليه طعماً ولوناً[220] . ويستخدم في التصعيد آلة الأثال ، وهي مصنوعة من الزجاج أو الفخار على هيئة الطبق ذي المكبة والزقّ[221] . وقد وصف الزهراوي طريقة تدبير القطران بالتصعيد فقال : يوضع القطران في القطارة (أنية التقطير) ويُصعَّد ، فيخرج من رأس القطّارة كأنه قطعة زفت ، وحينئذ يُرفع لوقت الحاجة[222] .

التكليس : ومعناه تسخين المادة في إناء كالإبريق إلى أن تتحول إلى مسحوق دقيق للغاية[223] .

السحق : وهو ضرب المادة الخام وتحويلها إلى مسحوق باستخدام الهاون . وفي القاموس السحق : سَحَق الشيء يستحقه سحقاً : دقَّه أشد الدقّ ، وقيل : السحق الدق الرقيق ، وقيل : هو الدق بعد الدق ، وقيل السحق دون الدق[224] . ويتطلب ضرب المادة الخام وتحويلها إلى مسحوق خبرة ودراية ، وينبغي من الضارب أن يكون ملماً بالصنعة ويعرف جميع أنواع السحق والنخل والنقع .

الإلغام : وهي عملية سحق المواد العطرية الخام ومزجها مع الزئبق تمهيداً لعمليتي التكليس والتصعيد[225] .

الحل والإذابة : ومعنى الحل : أن تجعل المنعقدات مثل الماء[226] . ومعنى الإذابة : إذابة مادة بمادة أخرى . ويتم ذلك بواسطة التسخين أو التقطير .

العقد : ويعني وضع المادة في قرع ويوقد تحتها حتى تجمد وتعود حجراً [227] . والمقصود منه علمياً : إعطاء الخلاصة السيالة أو المحلول قواماً ليناً أو نصف صلب بواسطة التبخير غالباً .

الخاتمة ونتائج الدراسة

لقد أسفرت الدراسة عن مجموعة من النتائج التي استخلصناها من تتبع موضوع تطور صناعة العطور وتجارتها عند العرب المسلمين نوجزها على النحو الآتي :

1 – أوضحت هذه الدراسة أن العرب مارسوا تجارة العطور منذ ما قبل الإسلام ، وكانت الجزيرة العربية مصدراً رئيساً لإنتاج العطور وتصديرها إلى بلاد الشام وأوروبا منذ فجر التاريخ .

2 – أظهرت الدراسة تدرج تطور تجارة العطور وصناعتها عند العرب من العصر الجاهلي ، مروراً بالعصر الأموي وحتى العصر العباسي ، حيث وصلت فيه إلى أوج ازدهارها . ونجح العطارون في ابتكار كثير من العطور ، وتفننوا في تركيب عناصرها وفصلها ومزجها وتنقيتها بواسطة التقطير والتصعيد والتكليس وغيرها من التقنيات .

3 – كشفت الدراسة بوضوح عن ازدهار مراكز صناعة العطور وأسواقها في العصر العباسي ، واختصاص كل منطقة وسوق بتصنيع نوع معين وخاص من العطور وبيعه .

4 – أدى ولع الخلفاء والأمراء والمترفين بالطيب والعطور وإسرافهم في الإنفاق عليها إلى انتعاش حركة التبادل التجاري في المواد الخام من العطور بين الدولة العباسية وبلدان الشرق الأقصى ، وزيادة إقبال التجار العرب المسلمين على شراء العطور واستيرادها من مراكز إنتاجها في آسيا وإفريقية ووغيرها من مناطق العالم المعروفة في ذلك الوقت .

5 – أشارت الدراسة إلى مشاركة النساء في صناعة العطور وتجارتها . وهذا دليل واضح على دور المرأة العربية في خدمة المجتمع والإسهام في تطويره ورقيه .

6 – أبرزت الدراسة دور العرب المسلمين في توفير المناخ المثالي لتطوير صناعة العطور ، وذلك عن طريق ابتكار الوسائل والأدوات واستخدامها لتسهيل تركيب الروائح العطرية ومزجها واستخلاص روائح جديدة لم تكن معروفة من قبل ، بالإضافة إلى حفظها وتخزينها في أوان خاصة كي تبقى رائحتها وقتاً أطول .

7 – أسهمت صناعة العطور وإنتاجها في تطوير علوم الطب والصيدلة والكيمياء ولا سيما في مجال التداوي والتطبيب ، حيث استخدمت صناعة العطور وسخرت لخدمة الإنسان كي تساعده في العلاج والشفاء من كثير من الأمراض .

8 – ومن خلال دراسة التقنيات التي استخدمها العرب المسلمين في تركيب العطور ومزجها واستخلاصها يتضح كيف أن العرب المسلمين قاموا بتطوير وسائل التقطير ، وأحرزوا تقدماً في استعمال الحرارة ، ونجحوا في تطوير استخدام أوعية وآلات وقوارير زجاجية وحديدية مثل الأنبيق والأثال والقرع والهاون ، مختلفة الأحجام والأشكال ، وقادرة على مقاومة درجة الحرارة العالية وتحمل الاستعمال المتكرر .

9 – كان لتطور تجارة العطور وصناعتها في المجتمع العربي الإسلامي دلالات اقتصادية تمثلت في مكانتها المرموقة في التجارة العالمية ، وارتفاع أسعارها ، ودعم الدولة لها وتشجيعها . كما كان لتجارة العطور وصناعتها دلالات اجتماعية انعكست في إقبال الناس على استخدام العطور في حياتهم اليومية ، وتبادلها في المناسبات ، والاستمتاع والتباهي بالنادر منها والنفيس ، وفي هذا دلالة على شيوع الترف وتأثير الحضارة على أذواق الناس وسلوكهم . وفضلاً عن ذلك كان لها دلالات نفسية تمثلت في

اهتمام العرب المسلمين بصحة الجسم ونظافته ، والمحافظة على حيويته ونشاطه ، والشعور بالفرح والسعادة والبهجة .

10 - عكست تجارة العطور وصناعتها تطوراً علمياً وتقنياً كبيراً تمثل في ظهور عدد كبير من العلماء المتخصصين في كيمياء العطور أسهموا في دراسة طرق تحضير كثير من المواد الكيميائية المستخدمة في صناعة العطور وابتكارها ؛ مثل فصل مكونات الزيوت العطرية ، وعزل مركباتها الرئيسة ، والتحضير والاستخدام للزاج وحجر الشب والمغنيسيا والتوتيا والكحل ، واستخراج الكحول من النشويات والسكريات المتخمرة واستعماله في تركيب العطور وأدوات الزينة .

الهوامش والمراجع

(1) جاء في اللسان أن العطْر : اسم جامع للطيب ، والجمع عُطور . والعطار : بائعه ، وحرفته العطارة . ورجل عاطرٌ وعَطِرٌ ومعطير ومعطار وامرأة عَطِرَةٌ ومعطيرٌ ومُعطرة : يتعهدان أنفسهما بالطيب ويكثران منه ، فإذا كان ذلك من عادتها ، فهي مِعطار ومعطارة ، قال :

عُلِّقَ خَوْداً طَفلةً معطارة إياك أعني ، فاسْمعي يا جارهْ

ابن منظور : محمد بن مكرم بن عَلي ، أبو الفضل جمال الدين (ت . 1311/711) **لسان العرب المحيط** ، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة : يوسف خياط ، 7مجلدات ، بيروت : دار الجيل ، 1988 ، مادة (عطر) .

(2) ابن الكلبي : أبو المنذر هشام بن أبي النظر محمد بن السائب الكلبي (ت . 819/204) **مثالب العرب** ، تحقيق : نجاح الطائي ، بيروت : دار الهدى ، 1988 ، ص39 .

(3) ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع البصري (ت . 844/230) ، **الطبقات الكبرى** ، 9 أجزاء ، بيروت : دار صادر ، بدون تاريخ ، مج 8 ، ص300 .

(4) الكتاني : عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني الإدريسي ، **نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية** ، مجلدان ، بيروت : دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ ، ج2 ، 40 .

(5) للمزيد عن دارين انظر ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبدالله (ت . (1228 /626 ، **معجم البلدان** ، 5 أجزاء ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 1979 ، ج2 ، ص432 ؛ الجبوري : يحيى ، الزينة في الشعر الجاهلي ، الكويت : دار القلم ، (1984 ، ص.125

(6) القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت . 1418/821) ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ، 14جزءاً ، مصر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، بدون تاريخ ، ج2 ، ص120 ؛ النويري :

شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت . 1332/733) **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، 31جزءاً ، القاهرة : دار الكتب المصرية ، 1937 ، ج12 ، ص.11

(7) اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت . 897/284) ، **كتاب البلدان** ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 1988 ، ص123 ؛ القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت . 1283 /682) ، **آثار البلاد وأخبار العباد** ، بيروت : دار صادر ، بدون تاريخ ، ص62 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج2 ، ص.123

(8) الأصفهاني : أبو علي المرزوقي (ألفه سنة 453هـ/ 1061م) ، **كتاب الأزمنة والأمكنة** ، جزءان ، القاهرة : دار الكتاب الإسلامي ، بدون تاريخ ، ج2 ، ص164 ؛ وانظر أيضاً جواد علي ، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ، 10أجزاء ، القاهرة : دار الكتاب الإسلامي ، 1993ج7 ، 375 .

(9) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج7 ، 375 .

(10) مفردها لطيمة وهي : وعاء المسك ، وقيل : هي العير تحمله ، وقيل : سوقه ، وقيل : كل سوق يجلب إليها غير ما يؤكل من حر الطيب والمتاع غير الميرة لطيمة . للمزيد انظر ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (لطم) .

(11) العسكري : أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (ت . 1004/395) ، **كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء** ، جزءان ، تحقيق : عزة حسن ، بيروت : دار صادر ، 1993 ، ج1 ، ص385 ؛ ابن سيده : أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت . 1065 /458) ، المخصص ، 5أجزاء ، بيروت : دار الكتاب الإسلامي ، بدون تاريخ ، السفر الحادي عشر ، ص200 ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج7 ، 318 .

(12) الأفغاني : سعيد ، **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام** ، القاهرة : دار الكتاب الإسلامي ، 1993 ، ص278 .

(13) اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت . 897 /284) ، **تاريخ اليعقوبي** ، مجلدان ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ، مج1 ، 270 ؛ الأصفهاني ، الأزمنة والأمكنة ، ج2 ، ص164 .

(14) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج7 ، ص377 .

(15) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، 256– 257 .

(16) الرّقّاء : السري بن أحمد (ت . 972 /362) ، **المحب والمحبوب والمشموم والمشروب** ، 4أجزاء ، تحقيق : مصباح غلاونجي ، دمشق : مطبوعات مجمع اللغة العربية ، 1986 ، ج3 ، كتاب المشموم ، ص179 ؛ وانظر ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (شهر) .

(17) الآية رقم 31 .

(18) البخاري : أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت . 869 /256) ، **صحيح البخاري** ، 9 أجزاء ، القاهرة : دار الحديث ، بدون تاريخ ، كتاب اللباس ، باب الطيب في الرأس واللحية ، ص 212– 213 .

(19) السكة هي الوعاء الذي يحفظ فيه الطيب

(20) أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، (ت . 888/275) ، **سنن أبي داود** ، الكتب الستة ، استنبول : دار الدعوة ، 1981 ، كتاب الترجل ، باب في استحباب الطيب ، حديث رقم 4162 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، مج1 ، ص399 .

(21) ابن سعد ، مج1 ، ص.399

(22) الزمخشري : محمود بن عمر (ت . حوالي1143/538) ، **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار** ، تحقيق : سليم النعيمي ، 4 أجزاء ، بغداد : بدون تاريخ ، ج2 ، ص267 .

(23) الزمخشري ، ج2 ، ص271 .

(24) الطبقات ، مج1 ، ص400 ؛ ربيع الأبرار ، ج2 ، ص266 .

(25) ربيع الأبرار ، الزمخشري ، جص ، ص270 .

(26) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب السعوط بالقسط الهندي ، ص163 .

(27) ابن رضوان ، ابن رضوان : أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر (ت . 1037/460) ، **الكفاية في الطب** ، تحقيق : سلمان قطاية ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، 1981 ، ص 80– 81 .

(28) للمزيد انظر الخطابي : محمد العربي ، **الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي** ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1990 ، ص 206– 209 .

(29) سنن الترمذي ، الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت . 892/279) ، **سنن الترمذي** ، تحقيق وتعليق : إبراهيم عطوة عوض ، مجموعة الكتب الستة ، استنبول : دار الدعوة ، 1981 ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في كراهية رد الطيب ، حديث رقم .2789

(30) سنن أبي داود ، كتاب الترجل ، باب في رد الطيب ، حديث رقم 4172 ؛ الزمخشري ، ربيع الأبرار ، ج2 ، ص.2789

(31) ج2 ، ص.287

(32) خماش ، نجدت : **الشام في صدر الإسلام من الفتح حتى سقوط خلافة بين أمية** ، دمشق : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، 1987 ، ص396 .

(33) الحسين : قصي ، **تجديد الدولة العربية زمن الأمويين** ، لبنان : الشركة العالمية للكتاب ، 1997 ، ص 33– 36 .

(34) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ، ج3 ، ص 146– 147 ؛ الأصفهاني : أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت . 1033 /425) ، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء** ، 4 أجزاء ، مكتبة الحيدرية ، إيران ، 1995 ، ج4 ، ص360 ؛ الزمخشري ، ربيع الأبرار ، ج2 ، ص268 ؛ الأبشيهي : شهاب الدين بن محمد (ت . 1446 /850) ، **المستطرف في كل فن مستظرف** ، جزءان ، بغداد : المكتبة التجارية الكبرى ، بدون تاريخ ، ج2 ، ص28 .

(35) الزهراوي : أبو القاسم خلف بن عباس (ت . بعد 1013 /404) ، التصريف لمن عجز عن التأليف ، المقالة التاسعة عشر ومعها فصول منتقاه ، حققها : محمد العربي الخطابي ونشرها في كتاب **الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي** ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1990 ، ص289 .

(36) نهاية الأرب ، ج12 ، ص56 .

(37) الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ، ج4 ، ص364 ؛ العدناني : الخطيب ، **الملابس والزينة في الإسلام** ، بيروت : مؤسسة الانتشار العربي ، 1999 ، ص377 .

(38) كتاب البلدان ، ص 10– 25 .

(39) ابن الزبير : القاضي الرشيد بن الزبير (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) ، كتاب **التحف والذخائر** ، تحقيق : محمد حميد الله ، الكويت : 1984 ، ص 218– 219 .

(40) مفردها ند والند : هو العود المطرأ بالمسك والعنبر والبان . ربيع الأبرار ، ج2 ، 282 .

(41) هي نوع من الطيب المركب وتنسب إلى عائلة آل برمك .

(42) ابن الجوزي : أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت . 1200/597) ، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، 11جزءاً ، حيدر آباد : دائرة المعارف العثمانية ، 1939 ، ج8 ، ص181 ؛ الصولي : أبو بكر محمد بن يحيى (ت . 941/335) ، أخبار الراضي والمتقي لله من كتاب **الأوراق** ، نشر : ج . هيورث ، بيروت : دار المسيرة ، 1983 ، ص68 ؛ الدوري : عبدالعزيز ، **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري** ، بيروت : دار المشرق ، 1974 ، ص134 .

(43) كتاب البلدان ، ص.351

(44) انظر ابن النديم : محمد بن إسحاق (ت . 995/385) **الفهرست** ، تحقيق : ناهد عباس عثمان ، الدوحة : دار قطري بن الفجاءة ، (1985 ، ص627 .

(45) المسك : اسم غير عربي والغالب أنه انتقل إلى اللغة العربية واللغات الأخرى من اللغة الهندية القديمة السنسكريتية . وفي المعرب : المسك : الطيب . فارسي معرب . انظر الجواليقي : أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (1145/540) ، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم** ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، مصر : دار الكتب ، 1969 ، ص.373 وكانت العرب تسمي المسك المشموم واللطيمة والفتاق والشذوُ للمزيد انظر العسكري ، كتاب التلخيص ، ج1 ، ص385 ؛ الرفاء ، المحب والمحَبوب والمشموم والمشروب ، ج3 ، ص154 .ويسمى في اللغة الإنجليزية والفرنسية .Musk انظر أيضاً : Genders: Roy, **Perfume through the Ages**, G.P. Putnams Sons, New York, 1972, p. 101.

(46) ذكر الرفاء في كتاب المحب والمحبوب والمشموم والمشروب أن المسك سُمّيَ مِسكاً لأنه يُمْسِكُه الغزالُ في سُرَّته . انظر ج3 ، ص139 .

(47) سنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب المسك للميت ، حديث رقم 3158 .

(48) اسم الحيوان الذي يؤخذ منه المسك : قط الزباد وهو نوع من الظباء ويعيش في التبت والصين ؛ للمزيد انظر فهمي : نعيم زكي ، **طرق التجارة الدولية ومحطاتها** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1973 ، ص 227– 228 .

(49) المسعودي ، المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت . 957/346) ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، 4أجزاء في مجلدين ، بيروت : دار الأندلس ، 1965 ، ج1 ، ص 180– 181 ؛ السيرافي : أبو زيد الحسن بن يزيد (كتبه سنة 916/304) ، **أخبار الصين والهند** ، تحقيق وتحليل : إبراهيم خوري ، 4 ، سلسلة أبحاث ودراسات عن تاريخ شبه القارة الهندية ، بيروت : دار الموسم ، 1991 ، ص80 .

(50) مروج الذهب ، ج1 ، ص180 ، نهاية الأرب ، ج12 ، ص11 .

(51) كتاب البلدان ، ص121 ، أخبار الصين والهند ، ص79 .

(52) كتاب البلدان ، ص121 ؛ نهاية الأرب ، ج12 ، ص 1– 7 ؛ انظر أيضاً : Genders: Roy, Perfume through the Ages, Pp.218-219.

(53) مروج الذهب ، ج1 ، ص 179– 180 ؛ أخبار الصين والهند ، ص79 .

(54) ابن سينا : الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله ((1036 /428 ، **القانون في الطب** ، تحقيق : إدوارد القش ، 4 مجلدات ، بيروت : مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر ، 1987 ، مج1 ، ص593 ؛ الرندي : محمد بن إبراهيم (من أهل القرن التاسع) ، كتاب الأغذية ، نشره : محمد العربي الخطابي في كتاب **الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي** ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1990 ، ص205 .

(55) الأنطاكي : داود بن عمر الأنطاكي الطبيب ((1599 /1008 ، **تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب** ، شرح وتعليق : علي شيري ، بيروت : مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر ، 1991 ، ص 427– 428 .

(56) نهاية الأرب ، ج12 ، ص6 ؛ صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج2 ، ص120 .

(57) كتاب والي المدينة : The Book of the Prefect ترجمة ومراجعة : السيد الباز العريني ، الملحق الرابع من كتاب **نهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيرزي** ، بيروت : دار الثقافة ، 1981 ، ص 161– 162 .

(58) المقصود بالزقاق : مضيق هرمز .

(59) كتاب البلدان ، ص121 .

(60) ابن الفقيه : أبو عبدالله أحمد بن محمد الهمداني (ت . 902/290) ، **كتاب البلدان** ، تحقيق : يوسف الهادي ، بيروت : عالم الكتب ، 1996 ، ص.512

(61) الجويري : عبدالرحيم بن عمر (القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد) ، **المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار** ، تحقيق : عصام شبارو ، بيروت : دار التضامن ، 1992 ، ص77 .

(62) مروج الذهب ، ج1 ، ص179 ؛ أخبار الصين والهند ، ص79 .

(63) الدمشقي : أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي (ت . القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) ، **الإشارة إلى محاسن التجارة** ، تحقيق : البشري الشوربجي ، القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، 1977 ، ص52 .

(64) تذكرة أولي الألباب ، ص247 .

(65) ابن الأخوة القرشي : محمد بن محمد بن أحمد (ت . (1271 /669 ، **معالم القربة في أحكام الحسبة** ، بيروت : دار الحداثة ، 1990 ، ص172 .

(66) الصابئ : أبو الحسين هلال بن المحسن (ت . 1056/448) ، **رسوم دار الخلافة** ، تحقيق : ميخائيل عواد ، بيروت : دار الرائد العربي ، 1986 ، ص28 .

(67) بزرك بن شهريار : بزرك بن شهريار الناخداء الرام هرمزي (ألفه في حدود سنة 950/339) ، **عجائب الهند بره وبحره وجزائره** ، تحقيق : يوسف الشاروني ، لندن : رياض الريس للكتب والنشر ، 1990 ، ص.102

(68) الغالب أنه الإمبراطور تيوفيل (829م – 842م) للمزيد انظر ابن الزبير ، كتاب الذخائر والتحف ، ص28 .

(69) كتاب الذخائر والتحف ، ص28 .

(70) الذخائر والتحف ، ص39 .

(71) نهاية الأرب ، ج12 ، ص23 ؛ صبح الأعشى ، ج2 ، ص125 ؛ ويذكر البيروني أن أصل العود أشجار في غياض وراء جبال ليس إليها وصول ، وخلف الجبل ماء وقدامه بحر ، وفي الجبل طريق يخرج منه الماء إلى البحر ، فيحصل ما يسقط من أشجار العود ، وأصحاب السلطان يترصدونه ، فإذا وجدوه دفنوه تحت الأرض سنة ، ثم يخرج وينظّف ويحكّ بالسكين والمبرد . وغرضهم في دفنه أن ما كان رخواً خفيفاً فتعفن ويبقى ما صلب منه . للمزيد انظر البيروني : محمد بن أحمد (ت . (1050 /442 ، **كتاب الصيدنة** ، تحقيق : الحكيم محمد سعيد ورانا إحسان إلهي ، كراتشي : مؤسسة همدرد الوطنية ، 1973 ، ص278-277 .

(72) الإشارة إلى محاسن التجارة ، ص54 .

(73) الرفاء ، المحب والمحبوب والمشموم والمشرب ، ج3 ، ص164 ؛ ابن سيده : المخصص ، السفر الحادي عشر ، ص 198– 199 .

(74) ربيع الأبرار ، ج2 ، ص281 ؛ المستطرف ، ج2 ، ص29 ؛ العدناني ، الملابس والزينة ، ص368 .

(75) صبح الأعشى ، ج2 ، ص126 .

(76) نسبة إلى قامرون موضع في بلاد الهند يعرف منه العود النهاية في الجودة . ياقوت ، معجم البلدان ، ج4 ، ص396 .

(77) نسبة إلى مدينة سمندر بالهند . للمزيد انظر الحميري : محمد بن عبدالمنعم (ت . 1516/920) ، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، بيروت : مكتبة لبنان ، 1984 ، ص324 .

(78) كتاب البلدان ، ص 123– 124 ؛ نهاية الأرب ، ج12 ، ص 25– 37 ؛ صبح الأعشى ، ج2 ، ص 125– 130 .

(79) القانون في الطب ، مج1 ، ص 665– 666 ؛ ابن رسول : الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني (ت . 1294/694) ، **المعتمد في الأدوية المفردة** ، تصحيح وفهرسة : مصطفى السقا ، بيروت : دار القلم ، 1951 ، ص346 .

(80) تذكرة أولي الألباب ، ص345 .

(81) القانون في الطب ، مج1 ، ص666 .

(82) ابن بسام المحتسب : (عاش في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) ، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** ، بيروت : دار الحداثة ، 1990 ، ص394 ؛ الشيرزي : عبدالرحمن بن نصر (القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) ، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** ، تحقيق ومراجعة : السيد الباز العريني ، بيروت : دار الثقافة ، 1981 ، ص54 .

(83) المختار في كشف الأسرار ، ص76 .

(84) المن وحدة وزن تساوي نحو 1.35كغم . للمزيد انظر هنتس : فالتر ، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري** ، ترجمة : كاملي العسلي ، عمان : الجامعة الأردنية ، 1970 ، ص 45– 53 .

(85) نهاية الأرب ، ج12 ، ص27 ؛ صبح الأعشى ، ج2 ، ص127 ؛ وعند البيروني يبلغ سعر المن من العود الهندي المعروف بالسمندري ثلاثمائة دينار . انظر كتاب الصيدنة ، ص.278

(86) Metz, Adam, **The Renaissance of Islam,** tr. Khuda Pakhsh, Patna, 1937, p379.

(87) المقدسي : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري (ت . 990/380) ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، تحقيق : محمد مخزوم ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 1987 ، ص 118– 119 .

(88) التنوخي : أبو علي المحسن بن علي (ت . 994/384) ، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة** ، 8 أجزاء ، تحقيق : عبود الشالجي ، بيروت : دار صادر ، 1971 ، ص 118-113 .

(89) كتاب الذخائر ، ص66 .

(90) الذخائر والتحف ، ص215 .

(91) الدَّقَل والدَّوقَل : خشبة طويلة تشد في وسط السفينة يُمَدُّ عليها الشراع . ابن منظور : لسان العرب ، مادة (دقل) .

(92) الذخائر والتحف ، ص66 .

(93) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ، ج3 ، ص.172

(94) مروج الذهب ، ج1 ، ص171 ؛ أخبار الصين والهند ، ص91 ؛ الزينة في الشعر الجاهلي ، ص145 . ويكثر إنتاجه في الوقت الحالي في سواحل الصين واليابان وسواحل جرين لاند وفي غرب إيرلاندا . للمزيد انظر : Genders, Perfume through the Ages, p. 222.

(95) كتاب البلدان ، ص122 .

(96) الإشارة إلى محاسن التجارة ، ص53 .

(97) الثعالبي : أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل (ت . 1037/429) ، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر : دار المعارف ، 1985 ، ص536 .

(98) كتاب البلدان ، ص123 ؛ نهاية الأرب ، ج12 ، ص19 ؛ الملابس والزينة ، ص363 .

(99) التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص275 .

(100) المعتمد في الأدوية المفردة ، ص339 ؛ تذكرة أولي الألباب ، ص343 .

(101) اللاذن : مأخوذ من شجر يقارب الرمان طولاً وتفريعاً ، إلا أن ورقه عريض يتصل بعضه ببعض ، صلب دقيق له زهر إلى الحمرة يخلف كالزيتونة ينكسر عن بزر دقيق أسود . للمزيد انظر الأنطاكي ، تذكرة أولي الألباب ، ص400 ؛ نهاية الأرب ، ج11 ، ص 326– 327 .

(102) المند : هو صنف من العنبر للمزيد انظر النويري ، نهاية الأرب ، ج12 ، ص21 .

(103) معالم القرية ، ص170 ؛ نهاية الرتبة ، ص390 ؛ القانون في الطب ، مج1 ، ص664 ؛ المعتمد في الأدوية ، ص339 ؛ نهاية الرتبة ، ص50 .

(104) الإدريسي : أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله (ت . 1164/560) ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، مجلدان ، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، بدون تاريخ ، ج1 ، ص52 .

(105) أحسن التقاسيم ، ص92 ؛ نهاية الأرب ، ج12 ، ص20 .

(106) الذخائر والتحف ، ص46 .

(107) الذخائر والتحف ، ص42 .

(108) يسمى الكافور في اللغة الهندية القديمة السنسكريتية كاربورا ، ثم سماه سكان الملايو والهند كابور ، وأخذ العرب التسمية من الهنود والفرس ، فسموه «كافور» ثم انتقلت التسمية إلى اللاتينية كامفورا . وأول استخدام لهذه التسمية في اللغة الإنجليزية كان سنة 1230م ، ثم شاع الاسم بعد ذلك في جميع اللغات الأوربية للمزيد انظر الشكري : جابر ، المصطلح الكيماوي في التراث العربي ، **مجلة المجمع العلمي العراقي** ، ج1 ، العدد 31 ، 1980 ، ص92 .

(109) التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص274 .

(110) الزمخشري ، ج2 ، ص281؛ وانظر القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت . 1283/682) ، **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات** ، تحقيق : فاروق سعد ، بيروت : دار الآفاق ، 1981 ، ص299 .

(111) الآية رقم 5 .

(112) كتاب صفة الجنة ، حديث رقم 2549 .

(113) أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت . 1331/732) ، **تقويم البلدان** ، تصحيح وتحقيق : رينود وماك كوكين ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1840 ، ص369 ؛ وانظر أيضاً شيخ الربوة : شمس الدين ابو عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (ت . 1372/732) ، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1988 ، ص 135– 136 ؛ وعند المسعودي في مروج الذهب : بلاد فنصور وإليها يضاف الكافور الفنصوري ، انظر ج1 ، ص173 .

(114) القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت . 1283/382) ، **آثار البلاد وأخبار العباد** ، بيروت : دار صادر ، بدون تاريخ ، ص103 ؛ نهاية الأرب ، ج11 ، 294 ؛ الملابس والزينة ، ص373 .

(115) التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص274 ؛ نهاية الأرب ، ج11 ، 294 .

(116) القانون في الطب ، مج1 ، ص554 ؛ المعتمد في الأدوية ، ص.404

(117) التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص274 ؛ الجامع لمفردات الأدوية ، ص.303

(118) نهاية الأرب ، ج11 ، ص295 ؛ وانظر أيضاً : مجهول : (من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) ، **مفتاح الراحة لأهل الفلاحة** ، تحقيق : محمد عيسى صالحية وإحسان صدق العمد ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 1984 ، ص282 .

(119) ابن رسول ، المعتمد في الأدوية المفردة ، ص404 ؛ الكركي : أمين الدولة أبو الفرج ابن القف (ت . 1283/685) ، **جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض** ، تحقيق : سامي خلف الحمارنة ، عمان : الجامعة الأردنية ، 1989 ، ص420 .

(120) الجاحظ : عمرو بن بحر (ت . 868/255) ، **التبصر بالتجارة** ، تحقيق : حسن حسني عبدالوهاب ، بيروت : دار الكتاب الجديد ، 1983 ، ص18 .

(121) غراب : أحمد عطية ، **صناعة الروائح العطرية** ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ص52 .

(122) أبو داود ، الجنائز ، باب كيف غسل الميت ، حديث رقم 3147 .

(123) الإشارة إلى محاسن التجارة ، ص53 .

(124) من أخبار الصين والهند ، ص45 .

(125) نشوار المحاضرة ، ج1 ، ص297 .

(126) ابن البيطار : أبو محمد عبدالله بن أحمد بن البيطار الشهير بالعشاب المالقي (ت . 1248/646) ، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية** ، تحقيق وتهذيب وتنقيح : محمد العربي الخطابي ، بيروت : دار الغربي الإسلامي ، 1990 ، ص222 ؛ ابن رسول ، المعتمد في الأدوية المفردة ، ص293 ؛ الوزير (الغساني) : أبو القاسم بن محمد الأندلسي (ت . حوالي 1611/1019) ، **حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار** ، تحقيق : محمد العربي الخطابي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985 ، ص194 .

(127) كتاب الصيدنة ، ص248 ؛ نهاية الأرب ، ج12 ، ص39 ؛ صبح الأعشى ، ج2 ، ص130 .

(128) التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص279 .

(129) عند الحميري مقاصر وهي : جزيرة في البحر الهندي فيها الصندق المقاصري وجوز الطيب . . . . . الروض المعطار ، ص.558

(130) نهاية الأرب ، ج12 ، ص41 ؛ صبح الأعشى ، ج2 ، ص131 ؛ العدناني ، الملابس والزينة ، ص366 .

(131) نهاية الأرب ، ج12 ، ص40 ؛ صبح الأعشى ، ج2 ، ص130 . والمقصود هنا بالزعارة : شيء من الشوائب والفساد .

(132) التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص279 ؛ المعتمد في الأدوية المفردة ، ص394 ؛ داود الأنطاكي ، تذكرة أولي الألباب ، ص318 .

(133) السقطي : أبو عبدالله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) ، **في آداب الحسبة** ، تحقيق ومراجعة : حسن الزين ، بيروت : مؤسسة دار الفكر الحديث ، 1987 ، ص61 ؛ الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص.51

(134) أحسن التقاسيم ، ص92 .

(135) نزهة المشتاق ، ج1 ، ص54 .

(136) محاضرات الأدباء ، ج4 ، ص360 ؛ ربيع الأبرار ، ج2 ، ص268 ؛ المستطرف ، ج2 ، ص28 ؛ ابن سيده ، المخصص ، السفر الحادي عشر ، ص210 .

(137) التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص289 ؛ نهاية الأرب ، ج /12ص52 .

(138) الفهْرُ : هو الحجر الذي يُسحق به الطيب . انظر الرفاء ، المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ، ج3َ ، ص177 .

(139) التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص289 ؛ نهاية الأرب ، ج12 ، ص52 ؛ والمقصود عدوة المغرب ، (سبتة ، طنجة ، مليلة) .

(140) التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص298 ؛ نهاية الأرب ، ج12 ، ص.52

(141) التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص 289– 290 ؛ نهاية الأرب ، ج12 ، ص53 ؛ ابن رسول ، المعتمد في الأدوية المفردة ، ص351 .

(142) القانون في الطب ، مج1 ، ص798 .

(143) الدرهم وحدة وزن يساوي نحو 4.25جرام . للمزيد انظر هنتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية ، ص29 .

(144) نشوار المحاضرة ، ج3 ، ص58 .

(145) نهاية الأرب ، ج12 ، ص56 ؛ وانظر العدناني ، الملابس والزينة ، ص377 .

(146) الشكري : جابر ، «كتاب كيمياء العطر والتصعيدات المنسوب للكندي» ، **مجلة المجمع العلمي العراقي** ، ج1 ، مج36 ، آذار ، 1985 ، ص135 .

(147) نشوار المحاضرة ، ج1 ، ص 287– 291 .

(148) كتاب البلدان ، ص125 .

(149) ربيع الأبرار ، ج2 ، ص.286

(150) البرنية : إناء واسع الفم يصنع من الخزف أو الزجاج الثمين . للمزيد انظر ابن العديم : كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (1261/660) ، **الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب** ، تحقيق : سليمى محجوب ودرية الخطيب ، جزءان ، حلب : معهد التراث العلمي العربي ، جامعة حلب ، 1988 ، ج2 ، ص780 .

(151) التحف والذخائر ، ص215 .

(152) الحب : الجرة الكبيرة .

(153) نشوار المحاضرة ، ج1 ، ص291-287 .

(154) رسوم دار الخلافة ، ص.32

(155) الوشاء : أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى (ت . حوالي (936 /325 ، الموشى أو الظرف والظرفاء ، بيروت : دار صادر ، بدون تاريخ ، ص.183

(156) نشوار المحاضرة ، ج3 ، ص.59

(157) جاء في تعريف النَّدُّ أنه : عربي معروف ، سُمي بذلك لأنه ندَّ عن سائر الطيب ، كما البعير عن جماعة الإبل إذا خرج عنها ، العسكري ، كتاب التلخيص ، ج1 ، ص385 ؛ وانظر أيضاً الرفاء ، المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ، ج3 ، ص.146

(158) تذكرة أولي الألباب ، ص469 ؛ الوصلة على الحبيب في وصف الطيبات والطيب ، ج2 ، ص888 .

(159) نهاية الأرب ، ج12 ، ص 66– 67 ؛ صبح الأعشى ، ج2 ، ص125 .

(160) نهاية الأرب ، ج2 ، ص61 .

(161) المقصود بالند هنا : صنف من العنبر . يقول المسعودي إن : العنبر السهك يسميه العطارون في العراق وفارس بالند . للمزيد انظر : مروج الذهب ، ج1 ، ص171 .

(162) نهاية الأرب ، ج12 ، ص 67– 69 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج2 ، ص125 .

(163) نهاية الأرب ، ج12 ، ص 61– 62 .

(164) نهاية الأرب ، ص 62– 64 .

(165) كتاب الذخائر والتحف ، ص38 .

(166) نهاية الأرب ، ج12 ، ص65 .

(167) التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص290 .

(168) نهاية الأرب ، ج12 ، ص56 .

(169) الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب ، ج2 ، ص.487

(170) جوزبوا هو : من التوابل ، ويسمى جوز الطيب . ويأتي من الهند يدخل في الطيب وله كثير من المنافع . للمزيد انظر ابن الجزار : أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد (ت . 979/369) ، **كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة** ، طبع بالتصوير عن مخطوطة آيا صوفيا في استانبول ، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية ، فرانكفورت ، 1985 ، ص44 .

(171) نهاية الأرب ، ج2 ، ص108 .

(172) وجاء في اللسان : الرامك : هو شيء يصير في الطيب . ونقل عن ابن سيده أن الرامك والرامَك : شيء أسود كالقَار يخلط بالمسك فيجعل سُكًّا . ابن منظور ، (مادة رمك) ؛ وانَظر أيضاً المصري : مدين بن عبدالرحمن القوصوني (ألفه سنة 1628/1038) ، **قاموس الأطبا وناموس الألبا** ، جزءان ، طبع بالتصوير عن مخطوط دار الكتب الظاهرية في دمشق ، دمشق : منشورات مجمع اللغة العربية ، 1979 ، ج1 ، ص323 .

(173) تذكرة أولي الألباب ، ص235 .

(174) ابن رسول ، المعتمد في الأدوية المفردة ، ص184 ؛ تذكرة أولي الألباب ، ص235 .

(175) قاموس الأطبا ، ج1 ، ص323 .

(176) المعتمد في الأدوية المفردة ، ص184 .

(177) تذكرة أولي الألباب ، ص235 .

(178) جامع الغرض ، ص414 .

(179) المعتمد في الأدوية المفردة ، ص234 .

(180) التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص277 .

(181) لسان عصفور : هو ثمر شجرة يشبه ورقها اللوز ، وثمرتها التي يقال لها لسان العصافير هي عراجين متفرقة الخرنوب ، شبه أوراق الزيتون ، إلا أنها أصغر منها بكثير ، وفي جوف كل خرنوبة لب كأنه لسان الطائر المسمى العصفور ، خارجه أحمر وداخله أبيض ، مائل قليلاً إلى الصفرة ، وطعمه حريف لداغ مع شيء من المرارة . الجامع لمفردات الأدوية ، ص329 .

(182) قاقلة : القاقلة من الأفاويه العطرية ، وهي صنفان : كبير وصغير ، والكبير يسمى الذكر ، وهو حب أكبر من النبق بقليل ، له أقماع وقشر ، وفي داخله حب صغير مربع ، طيب الرائحة ، ذو دسم ، أغبر ، يؤتى به من أرض اليمن والهند ، وهو حريف يحذي اللسان كالكبابة مع قبض وعطرية ، وقشره وأقماعه أشد قبضا ، وهو أذكى رائحة وألذ عند الطباع من الصغير . وأما الهيل ، وهو القاقلة الصغيرة ، وهو الأنثى ، فهو يشبه القاقلة الكبيرة إلا أنه ليس له أقماع ولا قشر ، وطعمه أكثر حراقة وأقل قبضاً ، وهو ألطف من الكبير . الجامع لمفردات الأدوية ، ص276 .

(183) قاموس الأطبا ، ج1 ، ص323 .

(184) كتاب البلدان ، ص.22

(185) سابور : مدينة في فارس . للمزيد : معجم البلدان ، ج3 ، ص167 .

(186) أحسن التقاسيم ، ص330 .

(187) كتاب البلدان ، ص413 .

(188) أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت . 977/367) ، **صورة الأرض** ، بيروت : مكتبة الحياة ، 1979 ، ص246 ، وص260 .

(189) آثار البلاد ، ص467 .

(190) العاملي : بهاء الدين محمد بن حسين (ت . 1594/1003) ، **المخلاة** ، تنسيق وفهرسة : محمد خليل الباشا ، بيروت : عالم الكتب ، 1985 ، ص505 .

(191) المزة : قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق ، بينها وبين دمشق نصف فرسخ . معجم البَلدان ، ج5 ، ص .122وهي الآن حي كبير من أحياء دمشق وأقسامها .

(192) نخبة الدهر ، ص261 .

(193) للمزيد عن جور وكوار انظر : معجم البلدان ، ج2 ، ص181 ،/ ص486 .

(194) أحسن التقاسيم ، ص337 ؛ كتاب البلدان ، ص412 .a, **Hudud al-Alam: The Region of the World** Persian geography 372 A.H.-982A.D., tr.V. Minorsky London, 1937, p. 127.

(195) أحسن التقاسيم ، ص115 .

(196) ابن سعيد المغربي : نورالدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالملك الأندلسي (ت . 1286/685) ، **كتاب الجغرافية** ، تحقيق : إسماعيل العربي ، بيروت : المكتب التجاري للطباعة والنشر ، 1970 ، ص156 .

(197) الأنبيق والقرع : هما آلتا صناع ماء الورد والسفلي هي القرع والعليا على هيئة المحْجمة هي الأنبيق . انظر الخوارزمي : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت . 990/380) ، **مفاتيح العلوم** ، بيروت : دار المناهل للطباعة والنشر ، 1991 ، ص225 .

(198) المعتمد في الأدوية المفردة ، ص.482

(199) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص265-264 ؛ Al-Hassn, Ahmed and Donald, Hill, **Islamic Technology**, Cambridge University Press, 1992, p142; see also Hall, Kenneth, :Local and International Trade and Traders in the Straits of Melaka Region: 600-1500 **Journal of the Economic and Social History of the Orient,** vol. 47, part 2, 2004, p. 250-251.

(200) الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب ، ج2 ، ص728 .

(201) عبدالرحمن بن خلدون (ت . 1406/808) ، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، 7 مجلدات ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1992 ، مج1 ، ص190 . وعند الثعالبي في ثمار القلوب سبعة وعشرون ألف ألف قارورة ، انظر ص 537– 538 .

(202) ابن زهر : أبو مروان عبدالملك ابن الإيادي (1161/557) كتاب الأغذية ، نشره : محمد العربي الخطابي في **كتاب الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي** ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1990 ، ص156 .

(203) المعتمد في الأدوية المفردة ، ص482 ، وانظر أيضاً الرندي ، كتاب الأغذية ، ص206 .

(204) نهاية الأرب ، ج12 ، ص128 .

(205) التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص288 ؛ وانظر أيضاً ، الوصلة إلى الحبيب ، ج2 ، ص 732– 737 .

(206) أحسن التقاسيم ، ص115 .

(207) صورة الأرض ، ص261 .

(208) ابن وحشية : أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) ، **الفلاحة النبطية** ، الجزء الأول ، تحقيق : توفيق فهد ، دمشق : المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية ، 1993 ، ص 111– 147 .

(209) أحسن التقاسيم ، ص337 .

(210) التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص281 ؛ انظر أيضاً الكركي ، جامع الغرض ، ص402 .

(211) التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص281 .

(212) المرهم : دواء مركب يستعمل للجراحات ، وهو طلاء لين ، مشتق من الرهمة اللينة . للمزيد انظر الخطابي ، الأغذية والأدوية ، ص 589– 599 .

(213) اللطوخات : أدوية دهنية تستعمل من الخارج يلطخ بها الموضع فيتغير بها لونه تبعاً للون اللطوخ . للمزيد انظر المخصص ، السفر الحادي عشر ، ص 201– 202 ؛ الأغذية والأدوية ، ص 589– 599 .

(214) اللخالخ : طيب مجموع يتضمخ به . للمزيد انظر ، الأغذية والأدوية ، ص 589– 599 .

(215) الذرورات : أدوية مسحوقة تُذر على الجرح . للمزيد انظر ، الأغذية والأدوية ، ص 589– 599 .

(216) الشيافات : تطلق على بعض أدوية العين . للمزيد انظر ، الأغذية والأدوية ، ص 589– 599 .

(217) التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص299 .

(218) مفاتيح العلوم ، ص228 ؛ Al-Hassan, Islamic Technology, p136-139.

(219) التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص288 ؛ انظر أيضاً ابن وحشية ، الفلاحة النبطية ، ج1 ، ص129 .

(220) ابن متظور ، مادة (صعد) .

(221) مفاتيح العلوم ، ص225 ؛ Al-Hassan, Islamic Technology, p136.

(222) التصريف لمن عجز عن التأليف ، ص273 .

(223) مفاتيح العلوم ، ص228 ؛ Al-Hassan, Islamic Technology, p137.

(224) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سحق) .

(225) مفاتيح العلوم ، ص228 ؛ Al-Hassan, Islamic Technology, p137.

(226) مفاتيح العلوم ، ص228 ؛ Al-Hassan, Islamic Technology, p137.

(227) مفاتيح العلوم ، ص228 ؛ Al-Hassan, Islamic Technology, p137.

❊ ❊ ❊